مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

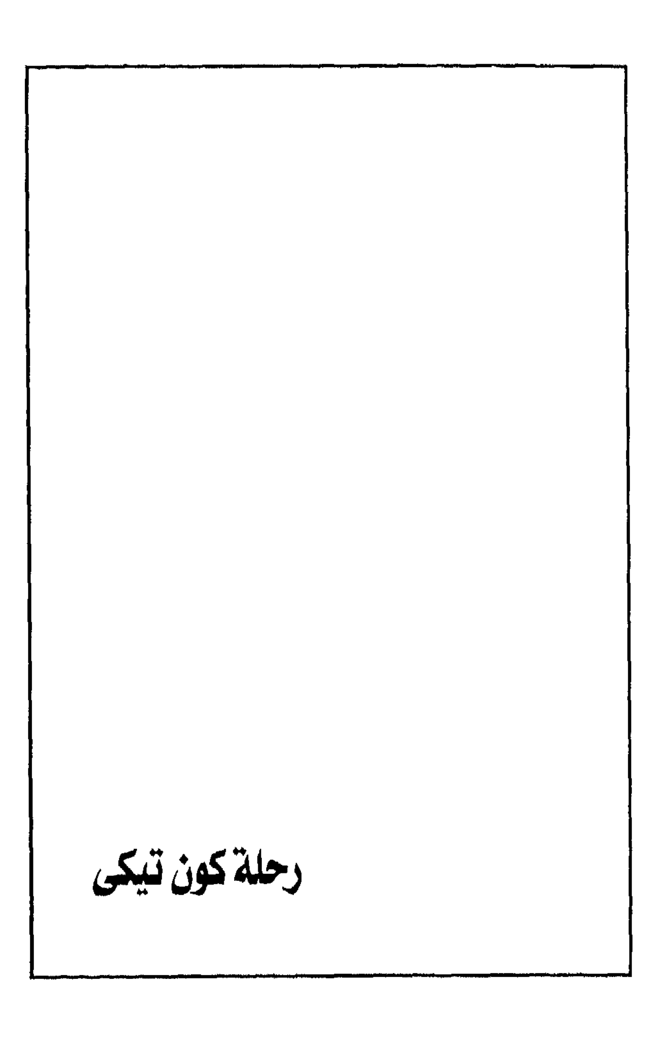
روائع الأدب العالمي للناشئين

رحلة كون تيكي

٦ رجال وببغاء على طوف في المحيط الهادي

ثور هايردال

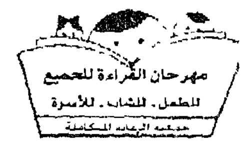




رحلة كون تيكى

رحلة كون تيكى

تـأليف : ثــور هايردال
ترجمـة : محمد العزب موسى
مراجعة : مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأدب العالمى للناشئين)

رحلة كون تيكى

تأليف : ثور هايردال ترجمة : محمد العزب موسى

	الجهات المشاركة :
	جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
	وزارة الثقافة
الغلاف	وزارة الإعلام
والإشراف الفنى :	وزارة التعليم
الفنان : محمود الهندى	وزارة التنمية الريفية
المشرف العام :	المجلس الأعلى للشباب والرياضة
د . سمير سرحان	التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

مؤلف الكتاب

ثور هايردال عالم أجناس ومستكشف مغامر ولد فى « لارفيك » بالنرويج فى ٦ اكتوبر ١٩١٤ ، ولا يزال على قيد الحياة ، وقد اكتسب هايردال شهرة عالمية واسعة نتيجة لمغامراته فى عبور المحيطات بوسائل بدائية .

قضى هايردال حياته يجمع أدلة على فكرة سيطرت عليه منذ فجر شبابه ، وهى أن الحضارات القديمة ربما تكون قد انتشرت نتيجة لرحلات بحرية قامت بها الشعوب البدائية عبر البحار والمحيطات .

ففى عام ١٩٤٧ أبحر هايردال مع طاقم يضم خمسة أفراد على ظهر طوف بدائى أسماه «كون ـ تيكى»

من شـــاطىء بيرو الغربى الى جزر بوليتيزيا فى البحر الجنوبى ، قاطعا بذلك ٤٣٠٠ ميل فى قلب المحيـــط الهادى ، لاثبات أن أهل هذه الجزر قد انتقل أجـدادهم الى هناك قادمين من أمريكا الجنوبية على مثل هذه الأطواف البدائية كما تقول أساطيرهم .

وقد قص هايردال تفاصيل هذه المغامرة فى كتابه « رحلة كون ـ تيكى » الذى صدر عام ١٩٥٠ ، والذى نترجم تبسيطا له فى هذا الكتاب ، كما التقط فيلمـــا تسجيليا للرحلة أطلق عليه نفس الاسم .

وفى عام ١٩٦٩ قام هايردال على رأس مجمـوعة صغيرة من البحارة ذوى الجنسيات المختلفـــة (وبينهم مصرى) بعبور المحيط الأطلنطى من المغرب قاصدا أمريكا الوسطى على ظهر قارب مصنوع من أعواد البردى مشابه لقوارب المصريين القدماء ، لاثبات احتمال أن تـــكون الحضارات القديمة فى نصف الكرة الغربى قبل وصول كريستوفر كولومبس الى أمريكا قد تأثرت بالحضـــارة المصرية القديمة .

وقد وصل القـــارب « رع » ـ وهو الاسم الذى اختاره هايردال للرحلة ـ الى مسافة ٦٠٠ ميل من أمريكا الوسطى قبـــل أن يتحطم فى ظروف جـــوية استثنائية سيئة ، وهى نتيجة لا تلقى نظرية هايردال خاصة مع التشابه الكبير بين حضارة المكسيك القـديمة والحضارة المصرية . ومرة أخرى وصف هايردال الرحلة فى كتاب بعنوان « بعثة رع » صدر عام ١٩٧١ ، كما صور فيلما تسجيليا لهذه الرحلة .

وفى عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ قام ثور هايردال برحلة مشابهة ثالثة مع فريق دولى أيضا فوق قارب من البوص مصنوع على أساس تصميم لقارب سومرى قديم ، وبدأت الرحلة من عند مصب نهرى دجلة والفرات فى العراق ملتزمة بنفس الطريق الملاحى القديم عبر الخليج العربى ، فخليج عدن ، الى جيبوتى ، لاثبات وجود علاقات بحرية قديمة ، بين بلاد ما بين النهرين وبلاد بونت ، وربمـــا غيرها من حضارات المنطقة كحضارة موهانجو دارو فى وادى السند . وسجل هايردال الرحلة فى كتابه « بعثة الفرات » الذى صدر عام ١٩٧٩ ، وفى فيلم تسجيلى .

ومن كتب ثور هايردال الأخرى « اكو ـ اكو : سر جزيرة ايستر» [١٩٥٨] ، « وفاتوهيفا : العودة الى الطبيعة » [١٩٧٤] ، و « الانسان البدائي والمحيط » [١٩٧٨] ، وكلها تدور حول الفكرة الرئيسية التى شغلت حياته كلها وهى أن المحيطات كانت عاملا فى الانتشار الحضارى وليست معوقا له ٠

الفصل الأول

كيف ولدت الفكرة ؟!

يشعر الانسان أحيانا بأنه فى موقف غريب .. موقف يدخله الانسان تدريجيا وبطريقة طبيعية ، ثم فجأة يجد نفسه مندهشا غاية الدهشة ، فيتساءل : كيف حدث ذلك ؟ كيف وجدت فى هذا الموقف ؟!

وهذا ما حدث لى ذات يوم وأنا فى عرض البحر فوق طوف من الخشب ، ومعى خمسة رفاق وببغاء .. فذات صباح كنت أجلس بالقرب من باب القمرة وأنا أكتب هذه الكلمات فى دفتر مبتل :

« ١٧ مايو . يوم الاستقلال النرويجى . البحر هائج . الريح طيبة . أنا الطاهى اليوم . وجدت سبع سمكات طائرة على ظهر الطوف وعدة كائنات أخرى من كائنات البحر .. » .

وهنا توقف القلم فى يدى وبدأت أفكر : كيف حدث هذا ؟ ما الذى أدى الى هذا الموقف ؟ •

الى يسارى كانت زمجرة أمواج البحر الأزرق الكبير تتلاشى على البعد ، والى يمينى كان ثمة رجل ذو لحية يستلقى على ظهره فى قمرة الطوف المعتمـــة وهو يقرأ كتابا •

ودفعت بيدى الببغاء الأخضر بعيـــدا ، وقلت : « بنجت •• لماذا نحن هنا ، ماذا نفعل ؟ »

أسقط بنجت كتابه جانبا وقال :

ـــ أنت تعلم أفضل منى ، فهذه فكرتك ولكنى أعتقد أنها كانت فكرة جيدة على أية حال •

خارج القمرة ، كان هنـــاك ثلاثة رجال آخرين يعملون فوق ظهر الطوف فى الشمس الساخنة •• كانوا يرتدون أقل قدر ممكن من الملابس ، وقد لوحت السمرة أجسادهم ، وكانوا ملتحين أيضا •• !

وزحف اريك خلال الفتحة وهو يحمـــل بعض الأدوات وكمية من الأوراق .

وأخبرنا بموقعنا قائلا :

« ابحار جيد هذا اليوم » وأخذ القلم من يدى ورسم دائرة صغيرة جدا على الخريطة المعلقة على جدار القمرة عرفنا منها أننا اقتربنا مسافة ٤٠ ميلا أخرى الى جزر البحر الجنوبى .

وأقبل هيرمان وكنوث وتورستين على عجل ليروا الدائرة .

وقال هيرمان بفخر :

هذا يعنى أننا أبحرنا مسافة ٨٥٠ ميلا بحريا من شاطىء بيرو .

ورد كنوث قائلا :

ــ نعم ، ولكن أقرب الجـزر الينا لا تزال تبـعد ٣٥٠٠ ميل بحرى !



أعضاء رحلة كون ـ تيكى [من اليسار] كنوت ، بنجت
ثـور هايردال ، هسلبرج تورستين ، هيرمان

وأضاف تورستين :

ـ والبحر من تحتنا عمقه ١٦ ألف قدم !

لقد عرفنا جميعا الآن موقعنا بالضبط ، وجلست أنا في القمرة أحاول أن أتذكر السبب في كل ذلك « ربما بدأت الفكرة داخل مكتب نيويورك وذلك خلال الشتاء الماضى ، أو ربما بدأت في جزيرة صغيرة في المحيط الهادى ، وكان ذلك منذ عشر سنوات .. والآن . من المحتمل أن نرسو على نفس هذه الجزيرة في رحلتنا هذه » .

مازلت أذكر هذه الجزيرة جيدا ، كان بها جبال وصخور ، وكانت هناك غابة خضراء تمتد على منحدرات الجبال ، وأشجار نخيل على طول الشاطىء ، كانت واحدة من جزر الماركويز اسمها « فاتوهيفا » .. ليس هناك أرض بين « فاتوهيفا » وبيننا الآن .. انها تبعد عنا آلاف الأميال البحرية .. !

تعودنا أن نجلس على الشاطىء المهجور في الأمسيات نتطلع الى البحر ، انه نفس هذا البحر

العظيم .. كانت ترافقنى حينئذ زوجتى وليس هؤلاء الرجال ذو اللحى ، كنا نعرف انه فى يوم ما من الماضى السحيق عاش شعب متحضر فى « فاتوهيفا » .. وقد ذهبنا الى هناك ، زوجتى وأنا ، لنتحقق من ذلك .

اننى أذكر جيدا واحدة من تلك الأمسيات .. كان العالم المتحضر يبدو بعيدا جدا ، وغير حقيقى .. لقد أمضينا حتى الآن حوالى السنة فى هذه الجزيرة ، وكنا الشخصين البيض الوحيدين هناك ، وقد بنينا لأنفسنا عشة تحت أشجار النخيل ، وكنا نحصل على طعامنا من الغابة ومن البحر .

لقد عرفنا الكثير عن مشاكل المحيط الهادى وكنا نفكر فى الرجال الأول الذين جاءوا الى هذه الجزيرة ، لقد جاءوا من بلد غير معروف وحكموا الجزر منذ مئات مضت من السنين .

وفى تلك الأمسية المحددة كنا نجلس على الشاطىء فى ضوء القمر ، وأفكارنا مليئة بأجواء الماضى ، وكنا نتنفس هواء البحر المشبع برائحة الملح ونسمع صوت

الريح يتخلل أشجار النخيل ·· وكانت الأمواج العظيمة تتدفق آتية من عرض البحر وتندفع نحو الشاطىء حيث تتكسر على الشعاب والصخور · وعندئذ تتعالى الزمجرة من ملايين الصخور ثم تهدأ ريثما تندفع دفقة جديدة من الأمواج ·

وقالت زوجتي :

ــ على الجانب الآخر من الجزيرة لا توجد مثل هذه الأمواج ، أليس ذلك غريبا ؟

قلت :

ــ كلا ·· لأن الريح تهب في اتجاه هذا الجانب ، ولذا فالبحر يجرى دائما نحو هذا الجانب أيضا ·

وجلسنا نتأمل البحر ، ونبدى اعجابنا به ، انه يتدفق من الشرق ·· الشرق ·· الشرق ·· ان الريح الشرقية تدفع البحر أمامها نحو الجزيرة ويتوقف البحر عند هذا الشاطىء بعد أن يتكسر الموج على الشعاب

والصخور ، ولكن الريح الشرقية تستمر فى هبوبها فوق الشاطيء ، وتمر فوق الغابة والجبال وتندفع نحو الغرب فتذهب من جزيرة الى جزيرة ٠

لقد حدث ذلك دائمـــا ، والرجال الأول الذين وصلوا الى هذه الجزر كانوا يعرفون ذلك ، ونحن نعرف ان شاطيء أمريكا الجنوبية يبعد عن هنا بمقدار ٤٣٠٠ ميل بحرى ، وليس هناك سوى البحر بين هنا وهناك ٠

وأخذنا نستمع الى رجل عجوز يجلس قبالتنـــا يرقب النار وقد أخذت جذوتها تخمد ٠

كان يقول فى هدوء :

ـ تيكى كان الهآ ورئيسا٠٠تيكى أحضر أجدادى الى هذه الجزر ، وقبل ذلك كنا نعيش فى بلد كبير خلف البحر ٠

وصمت العجوز وراح يفكر ٠٠ كان يحب أن يفكر فى الأزمنة القديمة ، وكان يعبد أجداده الأول ويفخر بأفعالهم ، انه يدعى « تى تيتوا » وقد جاء من تلك

الاجناس القديمة . وهو الوحيد الذى يعيش على هذا الشاطىء الشرقى من « فاتوهيفا » .. لم يكن يعرف عمره ، ولكن جلده المتغضن يوحى بأنه عاش مائة سنة انه لا يزال مقتنعا بحكايات أبيه وجده عن الرئيس البولينيزى العظيم والاله فى الوقت نفسه « تيكى » . ان عددا قليلا جدا من سكان هذه الجزر مازالوا يعتقدون فى مثل هذه الحكايات ، ولكن « تى تيتوا » مقتنع تماما بأن « تيكى » كان موجودا حقا ، وكان ابن الشمس !

وعندما استلقيت على سريرى فى تلك الليلة ، أخذت أفكر فى حكايات « تى تيتوا » عن « تيكى » وعن موطن أجداده الأول وراء البحار ، تخيلت اننى أستمع الى صوت يأتى من أزمنة بعيدة .. صوت يريد أن يبلغنى شيئا ، ولم أستطع أن أنام .

وفجأة قلت لزوجتى :

ـ هل تذكرين التماثيل الصخرية الكبيرة لتيكى فى الغابة ؟ انها تشبه التماثيل الحجرية للشعوب القديمة فى أمريكا الجنوبية .

وفي هذه اللحظة اندفعت أمواج البحر في زمجرة عظيمة ، فأحسست انها توافقني على رأيي ، ثم انسحبت ببطء خلال الشعاب والصخور ، وغلبني النعاس .

ربما تكون الفـــكرة بأكملها قد بدأت في ذلك الوقت ، فبعد تلك الليلة حدثت أشياء كثيرة وكانت النتيجة أن ستة رجال وببغاء أخضر يركبون البحر على طوف الآن .

عندما عدت الى النرويج من « فاتوهيفا » بدأت أدرس الشعوب القديمة ، وشدتني بشدة أسرار جزر البحر الجنوبي ، وقررت أن أجد من هو « تيكي » هذا ، فقرأت مئات الكتب عن الشعوب القديمة وزرت متاحف عديدة في أوربا وأمريكا وفحصت بعض محتوياتها ، وعرفت من الكتب والمتاحف الشيء الكثير عن سـكان تلك الجزر ، ولكني لم أسـتطع أن أعرف من هم ، ولا من أين جاءوا .

ان المستكشـفين الأوربيين الاوائل الذين عبروا المحيط الهادى دهشوا كثيرا عندما عثروا على تلك الجزر

المنعزلة . كان هناك أناس يسكنون فيها ، فمن أين جاء هؤلاء الناس ؟ انهم يتحـــدثون لغة لا يعرفهـا غيرهم ، وقد وجد الأوربيون في هذه الجزر حقـــولا مزروعة وقرى مأهولة ، ووجدوا في بعض هذه الجزر طرقا جديدة وتماثيل حجرية قديمـــة .. بعض هذه التماثيل أطول من منزل يتكون من أربعة طوابق ، ولكن من أين جاء هؤلاء الناس ؟ .

لقد قيلت اقتراحات كثيرة في هذا الشأن ، قيل ان سكان بولينيزيا هؤلاء [سكان جزر جنوب المحيط الهادى] جاءوا من الملايو ، أو الهند ، أو الصين ، أو اليابان ، أو من بلاد العرب ، أو مصر ، أو روسيا ، وحتى من ألمانيا أو النرويج ، ولكن أحدا لم يستطع أن يثبت أنهم جاءوا فعلا من أى من هذه الدول .

وقد لاحظ البعض أن التماثيل الحجرية فى جزيرة « ايستر » بالمحيط الهادى تشبه التماثيل القديمة فى أمريكا الجنوبية ، وقيل انه ربما كان هناك فى المـاضى جسر من الأرض عبر المحيط وربما تكون هذه الأرض

قد غرقت بعد ذلك ، كثير من الناس تعودوا أن يعتقدوا ذلك ، ولكننا الآن نعرف تماما أن جزر البحر الجنوبى لم تكن مطلقا مرتبطة أرضيا بأية دولة .

ان الجنس البولينيزى الأصلى قد جاء عن طريق البحر الى هذه الجزر المنعزلة ، ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث منذ قرون قليلة فقط . ونقـــول ذلك استنادا الى أن الشعوب التى تستوطن مختلف هـــذه الجزر ، لازالت تتحدث نفس اللغة الآن .. هناك آلاف الأميال البحرية تفصل بين هاواى ونيوزيلاندا ، وآلاف الأميال البحرية بين ساموا وجزيرة ايستر ، ولكن كل هذه الأجناس لازالت تتحدث اللغة البولينيزية ، ولو كان قد تقادم العهد على وصولها لاختلفت الألسنة بينهم حتى لو كانت فى الأصل لسانا واحدا . وهم لا يعرفون الكتابة .. ولكن هناك مدارس فى هذه الجزر ، وفى هذه المدارس يدرس الناس التـــاريخ والدين ، وهم يعبدون رؤساءهم الموتى على امتداد العصور حتى زمن « تيكى » .

والناس فى كل جزيرة تقريبا يعرفون أسماء كل

رؤساء الجزيرة من أقدم العصور ، وهذه الأسماء من مختلف الجزر قد جمعت ، وهي تتفق فيمـــا بينهـــا تماما • ونحن نعرف الآن أن الناس بدأوا يسكنون جزر البحر الجنوبي حوالى عام ٥٠٠ بعد الميلاد ، وبعد ذلك وصلت شعوب جديدة تحت قيادة رؤساء جدد الى الجزر نفسها ، وقد وصل هؤلاء القادمون الجدد حوالى عام ١١٠٠ ميلادية •

من أين جاء هؤلاء الناس ؟ لقد كانوا ينتمون الى حضارة العصر الحجرى ، فقـــد أحضروا معهم أدوات حجرية ، ونحن نعلم أنه سواء فى عام ٥٠٠ م أو فى عام ١١٠٠م كان أبناء العصر الحجرى يعيشون فقط فى أمريكا •

لذا بدأت أدرس حضارات الهنـــود الحمر فى أمريكا • ان أقرب شاطىء الى الشرق من الجزيرة هو شاطىء بيرو ، وهنا كان يعيش شعب مجهول فى يوم من الأيام •• اناس أنشأوا واحدة من أغرب الحضارات فى العالم ، ثم اختفوا فجأة منذ زمن بعيد ، وخلفوا وراءهم تماثيل حجرية ضخمة وأطلالا تشبه تلك التى

فى جزر الماركويز ، وكانوا بفئوسهم الحجرية يقطعون الكتل الحجرية الضخمة من الجبال ، ويحركونها عدة أميال الى مختلف الأماكن وينحتونها فى شكل تماثيل ينظمونها كما شاءوا ، ويبنون بوابات ضخمة ، وحوائط كبيرة ، تشبه تماما البوابات والحوائط والجدران الموجودة في جزر المحيط الهادى .

وكان الأوربيون الأوائل الذين وصلوا الى بيرو من الأسبان ، وقد سأل الأسبان هنود الانكا عن هـــذه التماثيل الهائلة الحجم ومن بناها ، فقال الانكا انهم جنس من الآلهة البيض هم الذين وضعوها هنا ! .. وهؤلاء الآلهة كانوا يعيشون هناك قبل مجيء الانكا ، وكانوا معلمين حكماء ومسالمين وقد علموا الانكا كيف يبنون المنـــازل ويزرعون الأرض ، وكانت لهم جلود بيضاء . ولحى طويلة وكانوا أطول قامة من الانكا . ثم غادروا بيرو فجأة ، واختفوا عبر المحيـــط الهادى فى اتجاه الغرب .

ودهش الأوربيون الذين وصلوا الى جزر المحيط الهادى ، لقد وجدوا كثيرين من سكان هذه الجزر لهم

جلود بيضاء ولحى طويلة ، وبعضهم لهم شعر أحمر وعيون زرق .. وكان ذوو الشعر الأحمر يسمون أنفسهم « أوروكيلو » ويقولون انهم أحفاد الرؤساء البيض الأول الذين جاءوا الى الجزر ، وقال سكان جزيرة ايستر ان أجدادهم جاءوا من الشرق ، من بلاد جبلية .

وقد وجدت كثيرا من الآثار المدهشة للحضارة البولينيزية فى بيرو . وأخيرا عثرت على ما أريده بالضبط عندما كنت أقرأ قصص الانكا عن الملك الشمس « فيرا كوشا » ، وقد كان رئيس الأناس البيض الأول فى بيرو .

قرأت :

« فيراكوشا اسم انكى ، والاسم الأصلى لاله الشمس فيراكوشا هو « كون ـ تيكى » .. ومعناه « الشمس » . كان كون ـ تيكى الكاهن الأكبر والملك الشمس للرجال البيض، وهو الذى ترك الآثار الضخمة على شطآن بحيرة « تيتى كاكا » ، ولكن الرجال البيض

هوجموا وقتلوا فى جزيرة تقع فى بحيرة تيتى كاكا ٠ غير أن كون ـ تيكى وأصدقاءه تمكنوا من الهرب ، لقد فروا الى المحيط الهادى واختفوا فى البحر فى اتجاه الغرب ٠

كنت متأكدا تماما أن اله الشمس الأبيض « كون ـ تيكى » فى بيرو هو نفسه اله الشمس تيكى الذى تعرفه جزر المحيط الهادى ٠ ولكنى وجدت دلائل على أن الشعب المسالم الذى قاده كون ـ تيكى لم يستطرد وحده على الجزر لمدة طويلة ، فقد جاءت شعوب أخرى ، واختلطت بجنس كون ـ تيكى ٠٠ وهم الموجة الثانية من أبناء العصر الحجرى الذين جاءوا الى بولينيزيا حوالى عام ١١٠٠ ميلادية ٠

أردت أن أعرف المزيد عن شعب بولينيزيا ، ولكن الحرب بدأت والتحقت بالجيش ٠ ثم جاء السلام ، وذات يوم اكتملت الفكرة فى ذهنى ، وذهبت الى أمريكا لأناقشها مع أناس آخرين ٠

الفصل الثانى

الاستعداد للرحلة

كنت أجلس مع رجل عجوز فى المتحف الكبير ·· انه أكبر متحف فى نيويورك ، وكانت تحيط بنا أشياء كثيرة من الماضى ، ورفوف الكتب تغطى الجدران ، وقد كتب الرجل العجوز بعض هذه الكتب بنفسه ·

قال :

ـ كلا ·· انك مخطىء ·· مخطىء تماما ! ·

قلت وأنا أشير الى مخطوطة البحث الذى أودعته نظريتى والموضوعة على المائدة أمامنا :

ـ ولكنك لم تقرأ حججى بعد ·

صاح الرجل :

ـ حجج ؟ انك لا تستطيع أن تعثر على الأجنـاس القديمة بالحجج !

ـ ولم لا ؟

ـ لأن الحجج لا تثبت شيئا • حقا كانت توجـد فى أمريكا الجنوبية حضارات قديمة غريبة ، ولكن أيا من هذه الشعوب لم يذهب الى جزر المحيط الهادى •• هذه حقيقة نعرفها تماما •• لم يكن فى استطاعتهم أن يذهبوا الى هناك ، لم تكن لديهم سفن .

اعترضت قائلا :

ـ كانت لديهم أطواف •• أطواف مصـنوعة من خشب البلزا (١) •

شجر أمريكى استوائى ذو خشب خفيف قوى يستعمل فى صنع الأطواف والطائرات •

فابتسم العجوز قائلا :

ـ اذن حاول أن تبحر الى جزر المحيط الهادى على طرف مصنوع من خشب البلزا ! ٠

لم أجد لدى ما أقوله ، وكان الوقت قد تأخر ، ونهضنا نحن الاثنـــان ، وسلمنى العجـــوز مخطوطتى وقادنى بأدب الى الباب ٠

وفى مساء اليوم نفسه ذهبت لأزور صديقا قديما٠

سألنى :

ـ كيف الأحوال ؟

قلت :

ـ ليست على مايرام ٠٠ لا أحـــد يريد أن يقرأ مخطوطتى !

قال الصديق :

ـ ولكن الرجـال الذين قابلتهم علمـاء ·· انهم لا يعتقدون فى صحة فكرتك ، ولا يعتقدون أن فى امكانك أن تثبت حججك · ماذا قال صديقك العجوز فى المتحف اليوم ؟ ·

ـ لم يبد أى اهتمام بذلك · قال ان الهنود لم تكن لديهم سوى أطـواف مفتوحة ، ولذلك لـم يكن بامكانهم استكشاف جزر المحيط الهادى ·

قال صديقى :

ـ نعم ·· قد يكون الرجل على حق !

قلت :

ـ اننى واثق من أن الهنود عبروا المحيط الهادى على ظهر أطوافهم ·· وسأثبت أن ذلك ممكن ·· سوف أبنى طوفا مثل أطوافهم وأعبر به البحر بنفسى ·

ـ أنت مجنون !

ظن اننى أمزح ، ، ولكنى لم أبتسم ، كنت جادا تماما فيما أقول ٠

* * *

ولم تكن لدى نقود كثيرة فى ذلك الوقت ، وكنت أقيم فى بيت البحارة النرويجيين ، فهناك كانت الأسعار رخيصة والطعام جيدا ، وكانت لى غرفة نوم صغيرة ، وكنت أتناول وجباتى مع البحارة ٠

وكان البحارة جميعـــا يتحدثـون عن البحــر وكنت أستمع لهم وتعلمت منهم الكثير ، كانوا يقولون ان السفينة تكون أكثر أمنا فى عرض البحر عنها بالقرب من الساحل، وأن البحر عند الشاطىء يكون أكثر هياجا منه فى قلب المحيط ، كما علمت ان السفن الصغيرة غالبا ما تبحر فى البحر الهائج أحسن من السفن الكبيرة ٠

ومعظم هؤلاء البحارة لم يكونوا يعرفون الكثير عن الأطواف ، غير أن أحدهم قال انه يعتقد أنهـا آمنة ، وأضاف « ولكنك لا تستطيع أن توجه الطوف ، انه يسير بقوة اندفاع الريح » ٠

وجدت في المكتبة بعض الكتب التي تتحدث عن أطواف خشب البلزا التي كان يصنعها الهنود مع صور لها ، كانت لها اشرعة مربعة ودفة طويلة في المؤخرة ، واهتممت بالدفة بصفة خاصة .. انها تدل على أن في الامكان توجيه الطوف .

وأرسلت على الفور نسخا من مخطوطتي الى عـدة مدن أمريكية ، ولكني لم أتلق أي رد ، فلا أحد جشم نفسه عناء قراءتها .

وذات يوم ، اشتريت خريطـة للمحيط الهادى وذهبت لزيارة أحد الأصـدقاء النرويجيين وزوجته . وكان صديقي هذا قبطانا بحريا له خبرة كبيرة بالبحر، ونشرت خريطتي أمامه .

وسألت ولهلم :

ـ هل تعتقد أن في امكان الطوف أن يحمل رجالا من بيرو الى جزر البحر الجنوبي ؟ .

أدهشه السؤال ، ولكنه أجاب : ـ « نعم » ..

فسررت كثيرا بهذا الرد ، ومضيت أشرح خططي لولهلم ·

ولكنه قال :

ـ سوف تكون مجنونا اذا أقدمت على ذلك ·

فقاطعته قائلا :

ـ ولكنك قلت ان هذا ممكن ·

فوافقني قائلا :

ـ نعم ، هذا ممكن ، ولكن الأخطار جسيمة ، فأنت لم تبحر من قبل على طوف مصنوع من خشب البلزا لقد كان الهنود القدماء لديهم خبرة كبيرة بالأطواف ، ومع ذلك كانوا يفقدون كثيرا من أطوافهم ·· ربما كانت تسعة أطواف من كل عشرة تغرق في كل رحلة ، ومن المحتمل انهم فقدوا مئات الأطواف خلال القرون الماضية · كما كان الهنود دائما يبحرون في أعداد كبيرة من

الأطواف ، ويسيرون على مقربة من بعضهم البعض ، فاذا غرق طوف أمكن انقاذ ركابه ونقلهم الى طوف آخر ، ولكن من ينقذك أنت ؟ ·· لن تكون هناك سفن بالقرب منك ، فلا توجد سفن في وسط المحيط الهادى ، وجهاز لاسلكى لن يساعدك ، فليس من السهل أن تعثر على طوف صغير على بعد آلاف الأميال من الأرض ·· سوف تغرق قبل أن يخف الى نجدتك أحد اننى أنصحك أن تنتظر حتى يقرأ أحدهم مخطوطتك !

قلت له :

ـ لن أستطيع الانتظار أكثر من ذلك .. وعما قريب سوف تنفد كل نقودى ·

ـ وكيف يمكنك أن تبدأ هذه الرحلة بدون نقود ؟

قلت :

ـ ان الناس سوف يهتمون برحلة أكثر من أن يهتموا بمخطوطة ·

ـ ولكن ما الذى تكسبه من هذه الرحلة ؟ ٠

ـ أثبت أن من الممكن عبور المحيط الهادى على ظهر طوف ٠

ـ ولنفرض أن الرحلة فشلت ٠٠ ؟

ـ عندئذ لن أكون قد أثبت شيئا ٠

ـ انك بذلك تدمر نظريتك ، أليس كذلك ؟ ٠

وافقته قائلا :

ـ ربما ٠٠ ولكن بعض الأطواف الهندية القديمة استطاعت أن تعبر المحيط ٠

لم نناقش الموضوع أكثر من ذلك فى ذلك اليوم ، وفى الأسبوع التالى رسمت خطا طويلا بالقلم الرصاص على خريطتى يمتـــد من بيرو الى جزر « تواموتو » ولم يتناقش صديقى معى فى الأمر ، ولكنه ساعدنى على حساب سرعة الطوف ٠

وقال ولهلهم :

ــ ان الرحلة سوف نستغرق على الأقل ٩٧ يوما ، هذا اذا كان الجو طيبا ·· ويمكنك أن نخصص أربعة شهور لهذا المشروع ، ومن المحتمل أن يستغرق أكثر من ذلك ·

قلت :

ــ حسنا ، سوف أخصص أربعة شهور لذلك ولكنى سوف أنجز المهمة فى ٩٧ يوما ·

وشعرت بمزيد من السعادة ·



كنت عضوا فى نادى المستكشفين فى نيويورك ، وقد أصبحت عضوا هناك بعد رحلتى الى جزر الماركويز ، وذات ليلة مطيرة من شهر نوفمبر ذهبت الى النادى ·

وجدت على الأرضيــة زورقا من المطــاط وعدة اختراعات جديدة غريبة أخرى تابعة لما يسمى «بالقيادة

الجـــوية » .. وفى وقت متأخر من المســاء أعطــانا الكولونيل هاسكين محاضرة عن هذه المخترعات الجديدة وأرانا كيفية استخدامهــا ، وبعد المحاضرة عرض أن يقرض المعدات لأعضاء النادى .

وقال :

ـ « ســوف نزودكم بهذه المعدات فى رحلاتكم القادمة » .

كنت آخر شخص غادر النادى فى ذلك المســـاء بعد أن فحصت المعدات الجديدة بعناية فائقة ، لقــد كانت هذه المعدات هى ما أريده بالضبط ، وفكرت فى نفسى « اذا غرق طوفنا من المحتمل أن ننقذ حياتنــا بهذه المعدات ! » .

وكنت لا أزال أفكر فى هذا الأمر فى صباح اليوم التالى وأنا أتناول الافطار ، حين جلس بجوارى على المائدة رجل قوى ، ولم نلبث أن بدأنا نتجاذب أطراف الحديث .. وعلمت منه أنه ليس بحارا وانما هو مهندس ميكانيكى

من « تروندهايم » وقد جاء الى أمريــكا ليشترى بعض الآلات ·

وسألنى الرجل بدوره :

ـ وأنت ماذا تفعل هنا ؟

فأخبرته بخططي ، وسكت هو ولم يقل شيئا ·
وبعد أربعة أيام التقينا ثانية في بيت البحارة ·

وسألنى :

ـ هل قررت أن تقوم برحلتك ؟

قلت :

ـ نعم ·· سوف أقوم بها ·

ـ متى ؟ ·

ـ في أسرع وقت ممكن ·· لا يمكننى الانتظـــار طويلا ، فان العواصف والرياح الشديدة سوف تبــدأ قريبا ، وينبغى أن أبحر قبل أن يبدأ موسم العواصف ،

ينبغى أن أغادر بيرو خلال شهور قليلة ، ولكن يجب أولا أن أحصل على نقود وأقوم بتنظيم الرحلة •

ـ كم رجلا سيكونون معك •• ؟

ـ ستة •• اعتقد أن ستة رجال سيكونون طاقما مناسبا للطوف ، كل منهم يمسك بالدفة أربع ساعات كل ٢٤ ساعة •

وفكر صديقى مليا •

ثم قال بثبات :

ـ أريد أن أذهب معك •

لم أكن أعرف أى شيء عن هذا الرجل ، ولكنى ارتحت الى وجهه • وقلت له :

ـ حسنا •• سوف نذهب معا •

كان اسمه هيرمان واتزينجر ••

وبعـــد أيـام اصـــطحبت هيرمان معى الى نادى المستكشفين ، وهناك التقينا بالرحالة المستكشف بيتر

فروخين ، كان رجلا ضخم الجثة ذا لحية ، وشرحنا له خطتنا على خريطة معلقة على الحائط ، ففتح عينيه على اتساعهما ٠٠ كان فروخين يثق فى كفاءة الأطواف القديمة ، وقد قام هو نفسه بعدة رحلات مستخدما الأطواف، وأبحر عبر الأنهار الكبرى فى سيبيريا ، وجذب فروخين لحيته ، وأخذ يحدثنا عن رحلاته ٠

ثم قال :

« سوف تتمتعان بوقت طيب » ٠

وهكذا أيد فروخين رحلتنا ، ثم بدأت الأمور تسير سريعا بعد ذلك ، فقد نشرت الصحف قصتنا ، وفى الصباح التالى تلقينا مكالمة تليفونية ذهبنا على أثرها هيرمان وأنا ، الى شقة أنيقة ٠٠

استقبلنا هناك شاب أنيق الملبس ، كان يعانى من نزلة برد وهو يقرب منديلا معطرا الى أنفه ، كان يبدو شابا ضعيف البنية ، ولكنه كان طيارا شهيرا أثناء الحرب ٠ وكان هناك اثنان من مندوبى الصحف معه ٠

قدم الينا مضيفنا الشراب ٠

وقال :

ـ انني مهتم برحلتكما ، ما هي خططكما بالضبط ؟
ونظر الى مندوبي الصحافة ٠

وقال :

ـ سوف أتكفل بنفقات الرحلة اذا وافقتما على وصف مغامرتكما في مقالات تنشرها الصحف ومحاضرات تلقيانها ٠

وافقنا على الفور ٠٠

وهكذا حلت فجأة كل مشاكلنا المالية ، وفي اليوم التالى استقال هيرمان من عمله وبدأنا في تنظيم الرحلة ٠٠ ووعدتنا القيادة الجوية بامدادنا بالمعدات ، وكانت هذه بداية طيبة ، وأصبح علينا الآن أن نبحث عن الرجال الأربعة الآخرين الذين سيرافقوننا في رحلتنا عبر المحيط الهادى ٠

كان علينا أن نختار هؤلاء الرجال بعناية فلم نكن

نريد أن يتعارك الرجال فى قلب المحيط ، ولم أكن أريد أن أصطحب معي بحارة متمرسين حتى لا يقال بعد ذلك ان الرحلة نجحت لان الذين قاموا بها أمهر من الملاحين القدماء ، ولكننا كنا نريد رجلا يســـتطيع أن يستخدم آلات السفينة ، كنــا نريد رجلا يمكنه أن يحدد خط سيرنا على الخريطة ٠

وقلت لهيرمان :

ـ اننى أعرف رساما يدعى اريك هيسيلبرج ، انه رجل ضخم الجثة ومسل للغاية وقد أبحر حول العــالم عدة مرات ، انه يستطيع الابحار فى سفينة ، سوف أكتب له عارضــا الأمر ، انني واثق انه ســـوف يأتي معنا ٠٠

قال هيرمان :

ـ هذا يبدو مناسبا جدا ٠٠ ونريد شخصا آخر يستطيع أن يستخدم جهاز اللاسلكى ٠

صحت فيه قائلا :

ـ جهاز لاسلكي ! ماذا نفعل باللاسلكي فوق طوف قديم الطراز ؟

لم يقتنع هيرمان وراح يناقشني :

ـ نعم .. اننا بحاجة الى جهاز لاسلكي كي نرسل عبره تقارير عن الجو . ان اللاسلكي لن يساعدنا بالطبع في أن نجعل رحلتنا أسهل أو أكثر أمنا ، ومع ذلك نحن نحتاجه .

وافقت هيرمان على اقتراحه .

وقلت :

ـ حسنا .. سوف أكتب الى كنـــوت هوجلاند وتورستين رابى !

ـ هل تعرفهما ؟

ـ أجل ، لقد قابلت كنوت أثناء الحرب .. كان عامل لاسلكي في النرويج ، وكان شجاعا جدا ، حاصره

الألمان ذات يوم ولكن كنوت حاربهم بمفرده وشق طريقه الى خارج الحصار ٠

ـ وماذا عن تورستين ؟

ـ كان عامل لاسلكى أيضا فى النرويج ، وكان يبعث برسائله اللاسلكية الى انجلترا عن السفينة الحربية الألمانيـــة « نيربيتز » ، وكانت فى ذلك الوقت مختبئة بالقرب من شـــاطىء النرويج ٠٠ ان كنوت وتورستين ماهران فى الارسال ولا تنقصهما الشجاعة ، أعتقد أنهما سيرحبان بالقيام برحلة صغيرة على طوف خشبى ٠

قال هيرمان على الفور :

ـ أكتب اليهما واعرض عليهما الأمر ! ٠

وكتبت رسالة قصيرة الى كل من اريك وكنوت وتورستين قلت فيها اننى سأعبر المحيط الهادى على طوف خشبى ٠ أعتقد أن أول أناس سكنوا جزر البحر الجنوبى جاءوا من بيرو ، اننى أريد أن أثبت ذلك ٠ هل تأتى معنا ؟ رد على الفور ! ٠

وفى اليوم التالى وصلتنى برقية من تورستين يقول « سوف آتى .. تورستين » . وقبل الآخران أيضا .

وقررنا الانتظار لاختيار الرجل السادس ، وفى هذه الأثناء بدأنا ، هيرمان وأنا ، نعد المؤن التى سنأخذها معنا ، لم نكن نريد أن نأكل نفس الطعام الذى كان يأكله الهنود القدماء ، فهذا أمر غير هام ، وقررنا أن نأخذ أنواع الطعام التى يستخدمها الجنود .

وكان لى صديق قديم يدعى جورن رورهولت قد جاء حديثا الى أمريكا حيث شغل منصبا هاما فى واشنطون فقررت أن أكتب اليه طالبا أن يعرفنا بمسئول فى الجيش الأمريكى ليمدنا بالغذاء .

وبعد يومين اتصل بنا جورن تليفونيا من واشنطون .

وقال :

« ان وزارة الدفاع الأمريكية مهتمة برحلتكم » .

وأخذنا القطار التالى الى واشنطون ، وذهبنا لمقابلة

جورن الذى قال : أعتقد أن الأمور ستسير على ما يرام، سوف تستقبلان في وزارة الدفاع غدا ، ولكن ينبغي أن نحصل أولا على خطاب من الكولونيل ! ٠

كان « الكولونيل » ، هو الكولونيل مونت كاس ، وقد وافق أن يكتب خطابا لنـا ، وذهبنا لنأخـــذه فى الصباح التالى ، وعندئذ عرض الكولونيل أن يأتى معنـا بنفسه الى وزارة الدفاع ٠

وقال :

ـ « قد أستطيع أن أساعدكما هناك » ٠٠ وركبنا جميعا سيارة الى البنتاجون ٠٠

جلسنا الى مائدة كبيرة ، وكان يجلس قبالتنا رئيس القسم الخارجى بوزارة الدفاع ٠٠ وفى بداية الأمر لم يستطع ذلك الرجل الجاف أن يفهم السبب الذى جئنا من أجله الى وزارة الدفاع ٠

فسأل :

ماذا نستطيع أن نفعل لكما بخصـــوص طـوف خشبى ؟

أخذ الكولونيل الذى يرافقنـــا يشرح الأمر بدقة وعناية ، وعندئذ أصبح المسئول فى البنتاجون وديا الى حد كبير ، وقرأ خطابا من القيــادة الجوية ، وطلب من مساعديه معاونتنا ، وتمنى لنا حظا سعيدا ، ثم قام وانصرف من الغرفة ٠

همس ضابط شهاب برتبة « كابتن » فى أذنى :

وقال :

« أعتقد أنكما ستحصلان على ما تريدان » ٠٠ ثم اصطحبنا لمقابلة الكولونيل لويس ، واستدعى الكولونيل لويس المسئولين فى قسم التجـــارب ٠ كان الجميـــع يعاملوننا بود وترحاب ، ووعدونا بتزويدنا بالمعـدات والغذاء ، ثم أردنا بعض هذه الأشياء ، وجربنــــا مذاق بعض الأطعمة الخاصة التى تستخدم فى الرحلات ، كما

جربنا سكاكين تطفو على سطح المـــاء ، ومواقد لطهى الطعام في الأجواء العاصفة ، ورأينـــا أنواعا كثيرة من المعدات الأخرى •

وكتب الموظفون قائمة بالأشياء التى نريدها وظننت أن كل شيء قد استقر وانتهى •

ولكن الكولونيل الودود الطويل القامة قال فجاة :

ـ حسنا سوف نذهب الآن لمقابلة الرئيس •• انه هو الذى سيقرر ما اذا كان فى امكانكما أن تأخذا هذه الأشياء ! •

وذهبنا الى مكتب « الرئيس » • كان رجلا ضئيل الحجم تبدو عليه امارات الجد وقد جلس خلف مكتبه وأخذ يتفحصنا بعينيه الزرقاوين •

وبعـــــد أن انتهى « الرئيس » من تفحصـــــنا

سأل الكولونيل لويس فى حدة :

ـ ماذا يريد هؤلاء السادة ؟

ـ أوه ·· عدة أشياء قليلة صغيرة ·

أجاب بذلك الكولونيل لويس وراح يشرح كل شيء والرئيس ينصت في صبر واضح دون أن يحرك اصبعا ·

ثم سأل في هدوء :

« وماذا سوف يعطونه لنا في مقابل ذلك ؟ » ·

أجاب الكولونيل :

ـ حسنا ·· انهم سوف يختبرون معداتنا في رحلتهم ، هذه فرصة لتجربة المعدات تحت أشق الظروف ، وسوف يكتبون تقارير عن هذه المعدات ومدى صلاحيتها ، وهذه التقارير ستكون نافعة جدا لوزارة الدفاع ·

ومال الرئيس قليلا الى الخلف ، وثبت عينيه على ، فغطست في مقعدى ، وأنا أسمعه يقول : انني لا أفهم ·· انهم لن يعطوننا أى شيء في المقابل !

وساد صمت تام أرجاء الغرفة ·

ولكن « الرئيس » أضاف فجأة :

ـ ولكن الشجاعة هامة أيضا ·· كولونيل لويس اعطهم هذه الأشياء !!

★ ★ ★

كان علينا أن نفعل آلاف الأشياء الأخرى ، ولم يكن أمامنا سوى ثلاثة أشهر ·

سافرنا الى نيويورك وحصلنا على الأدوات ، ثم سافرنا الى واشنطون وحصلنا على الخرائط ، كما حصلنا على نصائح جيدة أيضا ، ووصلت الينا بعض الأدوات بالطائرة من انجلترا ··

قمنا برحلات كثيرة بالطائرة ، اذ كنا فى عجلة من أمرنا ، وهذه هى أسرع وسيلة للسفر ولكنها كانت مكلفة جدا فسرعان ما أنفقنا كل ما معنا من نقود ، فذهبنا الى أصدقائنا فى نيويورك نطلب مزيدا من المال ولكننا أصبنا بخيبة أمل ·· اذ كان الرجل الذى معه

النقود مريضا فى الفراش ، ولم يستطع مندوبا الصحافة أن يساعدانا ، وطلبا منا تأجيل الرحلة ، ولكن لم يكن في امكاننا الانتظار فقد مضينا في ترتيباتنا شوطا بعيدا ، ولا يمكن الآن ايقاف كل شيء •

قلت : يجب أن نحصل على المال من أى مكان آخر •

ومضى هيرمان يعد الشهور الباقية : ديسمبر ، يناير ، فبراير •

واضفت :

وربما أيضا مارس ، ولكن يجب أن نبدأ ، يجب أن نرحل قبل موسم العواصف •

كانت الأمور سيئة ، وظللنا عدة أيام لا نجد حلا لمشكلتنا ، وأخيرا جاء العون من الكولونيل مونت ـ كاس •

فقد جاء الينا ذات يوم •

وقال :

ـ أرى أنكم فى متاعب يا أولاد ، هذا « شيك » تستعينون به ، ويمكنكم أن تردوا لى المبلغ فيما بعد !

وتقدم أشخاص آخرون بعدة قروض ، وهكذا حلت مشكلتنا مرة أخرى ، وأصبحنا على استعداد لبناء الطوف ..

كانت الأطواف القديمة التى يصنعها سكان بيرو تبنى من خشب البلزا البالغ الخفة ، وهذا الخشب أخف الفلين اذا كان جافا وأشجار البلزا تنمو فى بيرو ، ولكنها تنمو فقط على الجانب الشرقى لجبال الانديز ، وفى زمن الانكا كان البحارة يذهبون الى شاطئ اكوادور حيث يقطعون أشجار البلزا بالقرب من المحيط ، وقررنا أن نفعل نفس الشئ .

وعندئذ واجهتنا مشكلة أخرى .. اذ ليس من السهل دخول دول أخرى بمعدات غريبة ، ان هذا قد يعرضنا للاعتقال !! .

ولذا قررنا أن نذهب الى الأمم المتحدة ، وهناك

قابلنا شخصيات هامة من بيرو واكوادور ، وأخبرناهم بخططنا ، ووعدونا بابلاغ حكومتيهما ، وطمأنونا على أن كل شيء سيكون على ما يرام ولا داعي للقلق ٠

وشعرنا بالارتياح ، واشترينا تذكرتين في الطائرة وسافرنا الى أمريكا الجنوبية ٠٠

الفصل الثالث

الى أمريكا الجنوبية

هبطنا فى مدينـــة « جوايا كويل » باكوادور ٠٠ كان الجو شديد الحرارة ، وكنا فى غاية التعب ، فذهبنا الى أحسن فندق فى المدينة كى نستريح ونستحم ٠

وبعد أيام بدأنا البحث عن أخشاب البلزا ، كنا نريد جذوعا كبيرة من الشجر ولكن لم تكن هناك أشجار بلزا كبيرة فى المنطقة فكل أشجار البلزا قد اختفت من الشاطىء ٠

وقال لنا الناس :

ان هذه الأشجار قد قطعت أثنـــاء الحرب ، فهم يصنعون الطائرات من أخشاب البلزا ، وأشجار البلزا الكبيرة لا توجد الآن الا فى الغابة فقط ٠

وقلنا :

ـ اذن فلنذهب الى الغابة ، وهناك نقطع الأشجار بأنفسنا .

قال الناس :

ـ « هذا غير ممكن .. اننا الآن فى موسم الأمطار ، وكل الطرق الى الغابة مغرقة بالمياه ، انها مغطاة بطبقة عميقة من الطين .. إذهبوا الآن وعودوا الى اكوادور بعد ستة أشهر عندئذ يكون موسم الأمطار قد انتهى ، والطرق قد جفت .

كانت هذه بمثابة خيبة أمل كبرى بالنسبة لنا ، وذهبنا لمقابلة دون جوستافو فون بوكوالد ، وهو أهم رجل فى تجارة الأخشاب باكوادور ولكن دون جوستافو لم يستطع أن يمدنا بما نريد .

وقال :

ـ ان أخى يملك مزارع بلزا واسعة وهو يعيش فى كويفيدو ، ويدعى دون فريدريكو ، ان مزارعه فى الغابة ،

ويستطيع أن يمدكم بما تريدون من احتساب البلزا ، ولكن عليكم أن تنتظروا ، فلن يكون بامكانكم أن تذهبوا الى الغابة الآن بسبب الأمطار .

شعرت باليأس .. **وقلت لهيرمان :**

ـ ماذا نفعل ؟ .. لقد جئنا الى هنا لشراء الخشب للطوف ولن نستطيع الحصول على شيء قبل عدة أشهر .

قال هيرمان :

ـ هذا سيكون متأخرا جدا ..

وافقته ، **وقلت :**

ـ ولكن يجب أن نحصل على خشب البلزا ، ان الطوف يجب أن يكون نسخة طبق الأصل من الأطواف القديمة التى كانت تستخدم فى بيرو، لن نستطيع عبور البحر أحياء بأى طريقة أخرى .

وعثرنا على خريطة صغيرة فى الفندق عرفنا منها وقع الغابة ، كانت تمتد من شاطىء المحيط الهادى الى جبال الانديز ، وجاءتنى فكرة .

قلت .

لن نستطيع الذهاب الى كويفيدو عن طريق الشاطىء بسبب الأمطار ، ولكن ربما نستطيع الوصول الى الغابة بواسطة الطريق الآخر بعد أن نعبر جبال الانديز .

وقررنا أن نجرب هذه الفكرة .

طرنا الى كويتو في طائرة صغيرة .. وتسلقت بنا الطائرة جانب جبال الانديز ، ثم طارت بين الجبال وهبطت فى كويتو .

ومدينة كويتو تعتبر أغرب عاصمة فى العالم ، عدد سكانها حوالى ١٥٠ ألفا ومعظمهم من الهنود الحمر أو ممن تجرى فى شرايينهم دماء هندية . وفى المدينة بعض المباني العالية الجميلة ولكن معظم مبانيها من بيوت الهنود الحقيرة المبنية بالطين ، وشوارعها ضيقة تلتوى بين الجدران الطينية ، وهذه الطرق مزدحمة بالهنود الجبليين ، وهم يرتدون معاطف بها نقط بيضاء وقبعات كبيرة . والهواء فى الجبال فى غاية النقاء .

وأخذنا مرشدنا جورج الى فندق ، وعندما حاولنا أن نجد سيارة تنقلنا من الجبال الى الغابة ، لم نجد لا السيارة ولا الرجال الذين يقبلون مصاحبتنا الى هناك ، فقد كانوا يخشون قيادة السيارة الى الغابة بسبب المطر .

وقالوا :

ان الأخطار كبيرة جدا ، اننا اذا غرزنا فى الطين سوف نكون عرضة للهجوم علينا ، فى العام الماضى عثر على عشرة مهندسين أمريكيين موتى فى الغابة ، قتلوا بسهام مسمومة .. ان هنود الغابة يستخدمون السهام المسمومة فى الصيد .

وأخبرنا جورج بشىء آخر عن هنود الغابة .

قال :

« ان بعضهم صيادو رءوس ، انهم يقطعون رءوس الناس ، ويعالجونها بطريقة خاصة بحيث تصير صغيرة

ويبيعونها للسياح ·· انهم يستطيعون أن يجعلوا رأس الرجل صغيرة فى حجم رأس القط ، ومع ذلك يظل الوجه بنفس ملامحه !

وارتجفنا ···



فى اليوم التالى شـاهدنا سيارة « جيب » تسير فى الطريق ، وعلمنا انها تابعة للسفارة الأمريكيـة ، فجاءتنا فكرة ·· ذهبنا الى السفارة وشرحنا للمسئولين فيهـا مشكلتنا · قلنا : اننا نريد بعض أخشـاب البلزا من الغابة وعلينـا أن نذهب الى كويفيدو لهذا الغرض فهل تقرضوننا سيارتكم ؟

وأبدى الأمريكيون دهشتهم ، ولكنهم وافقوا ·

وفى الساعة الخامسة والربع من صباح اليوم التالى وصلت السيارة « الجيب » الى فندقنا وقفز منها ضابط اكوادورى برتبة كابتن ·

وقال :

« أنا في خدمتكم ·· لقد أمرت أن أصطحبكم الى كويفيدو » ·

كان صديقنا الجديد يدعى الكابتن أجورنو الكسيس الفاريز ، وكان مسلحا بعدد من السكاكين والأسلحة النارية وقد أشار اليها ·

وشرح الأمر قائلا :

ربما نواجه لصوصا فى الغابة ·

وركبنا « الجيب » وانطلقت بنا ، سرنا أولا على طريق رملى جيد أوصلنا الى قرية جبلية ، ثم واصلنا السير على مدق ضيق متعرج يستخدم لقوافل الحمير ·

لقد أصبحنا الآن فى منطقة منعزلة من جبال الانديز ، وفجأة وجدنا أنفسنا فى عالم غريب تماما ، انه عالم هنود الجبل ، هنا الوقت لا قيمة له ، والناس جميعا من الهنود ، يعيشون فى أكواخ ، ويربون

الماعز ، ويركبون الحمير ، ولم نشاهد في الرحلة كلها سيارة واحدة أو أى شيء يسير على عجلات ٠

أخذت السيارة ترتفع بنا في الجبال ثم تهبط فى الوديان ، وكان الجليد يكسو الجبال والصقيع يملأ الريح ، وشعرنا بأننا على وشك التجمد ، وأخيرا وصلنا الى الطرف الغربي لجبال الانديز ثم هبطنا الجبال متجهين الى اليمين ٠٠ كان الطريق منحدرا بشدة ، والصخور سائبة غير مترابطة ، لم يكن هناك أى شيء يمكن أن يحمينا ووضعنا كل ثقتنا في أجورتو ، وفجأة رأينا الغابة ، كانت على مسافة ١٢ ألف قدم تحتنا ولكن لم تلبث أن تجمعت السحب الكثيفة وغطت الوادى واختفت الغابة عن أنظارنا ٠

أخذ الطريق يهبط بنا رويدا رويدا ، وهب هواء ساخن رطب متصاعد من الغابة ، وأصبح الهواء كريها مثيرا للغثيان ، ثم بدأت الأمطار فى الهطول ، برقة فى أول الأمر ثم انهمرت مدرارا ، فكانت تضرب السيارة بشدة وتسيل على الصخور ونحن نتبعها هابطين على الطريق ٠

وأخيرا وصلنا الى طرف الغابة ، كان الهواء شديد الحرارة والرطوبة ، وكان الليل قد أرخى سدوله ووجدنا بعض الاكواخ المهجورة فقررنا أن نقضى الليل فى واحدة منها .. وفى اليوم التالى واصلنا السير فى الغابة هابطين أكثر وأكثر ، وأصبح الطين أكثر سوءا ، ولكنه لم يوقفنا ، وكذلك لم يظهر لصوص فى طريقنا .

وبعد أن سرنا أميالا كثيرة وصلنا الى نهر عريض مياهه طينية ، كان الطريق ينتهى هنا ولم نستطع أن نسير بالسيارة على ضفة النهر فى أى الاتجاهين ووجدنا بعض الهنود واقفين بالقرب من كوخ .

فسألناهم :

ـ ما اسم هذا النهر ؟

قالوا :

انه بالينكو .. ان كويفيدو على الجانب الآخر من النهر .

لم يكن ثمة جسر يمكن عبور النهر عليه ، ولكن الهنود وافقوا على نقلنا « بالجيب » الى الضفة الأخرى للنهر على طوف ..

أخذنا نتفحص الطوف باهتمام بالغ ، بدا لى انه أضعف من أن يحمل السيارة ، ولكننا حركنا السيارة الى سطح الطوف بحرص كبير ، وغطست جذوع البلزا تحت الماء ، ولكن الطوف لم يغرق ، وأخذ أربعة من الهنود يدفعون الطـوف عبر النهر بواســطة عمدان طويلة .

سألناهم :

بلزا ؟

رد أحد الهنود :

بلزا !

ودفعنا التيار هابطين فى النهر ، ولكن الرجال تمكنوا من توجيه الطوف حتى وصلنا آمنين الى الضفة الأخرى ، وهناك نزلنا بالسيارة الى البر ، واتجهنا الى منزل دون فيدريكو .

استقبلنا دون فيدريكو برحاب كبير ، ومضى يثرثر حول أطواف البلزا .

قال :

لقد عرفت أطواف البلزا طول حياتى ، منذ خمسين عاما كنت أعيش الى جانب البحر ، كنت طفلا صغيرا فى ذلك الوقت ، وتعودت أن أقف على شاطىء البحر وأشاهد الأطواف ، كان هنود بيرو يأتون بأطواف البلزا الى الشاطىء ويبيعون السمك فى جواياكويل . كانت أطوافهم مصنوعة من جذوع كبيرة جدا ، وتوجد قمرة على سطح الطوف . ولكن ليس من السهل أن تصل الى مزارع البلزا الآن حتى ولا على ظهر حصان ، ان الأرض غارقة بالماء والطين عميق جدا ، ولكن قد توجد بعض أشجار قليلة بالقرب من هنا ، لانكم لا تحتاجون لجذوع كثيرة » .

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى خرج رجال دون فيدريكو على ظهور الخيل للبحث عن أشجار البلزا فى طريق الغابة ، ثم اصطحبنا دون فيدريكو

أنا وهيرمان الى شجرة عتيقة بالقرب من الغابة ، كانت شجرة هائلة الحجم ، ولم نلبث أن شرعنا فئوسنا وأخذنا في قطعها · ظللنا نعمل طول اليوم وأخيرا قرابة المساء تهاوت الشجرة وسقطت على الأرض ، وقطع الهنود عدة أشجار كبيرة أخرى ، وبعد أيام قليلة أصبحت لدينا جذوع ١٢ شجرة كبيرة ·

سحبت الأشجار عبر الغابة بواسطة الخيول ثم سحبها جرار الى حافة النهر ، كانت الجذوع مبتلة جدا وثقيلة ، كل منها يزن طنا على الأقل ، وقمنا بربطها بالحبال ثم دحرجناها من الضفة الى النهر فطفت فوق سطح الماء ، وأخذنا نتمشى عليها وهى طافية ، فربطنا الجذوع سويا بالحبال فى مجموعتين وصنعنا منها طوفين خشنين ، ثم قطعنا بعض أعواد الخيزران (البامبو) وحملناها على الطوفين لنصنع منها فيما بعد قمرة الطوف الحقيقى واعتلينا ، هيرمان وأنا ، سطح الطوفين ومعنا اثنان من الهنود وأبحرنا هابطين فى النهر ·

أخذ الهنديان يحركان الطوفين بالعصى الطويلة · · وسرنا فى النهر بسرعة جيدة ، وأخذ النهر يزداد عمقا

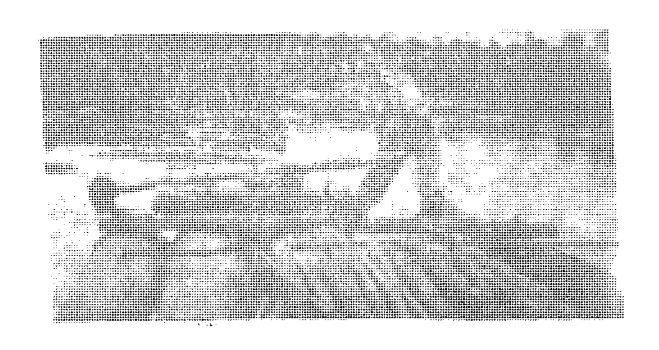
حتى وصلنا الى نهر آخر هو « ريو جواياس » . وهذا النهر يصب في نهر باليشكيو ، وهناك وجدنا سفينة تبحر الى جانب الشاطيء ، فركبناها ، وأبحرنا عائدين الى جواياكويل توفيرا للوقت ، بعد أن أبلغنا الهنديين بأن يتبعانا بالجذع الى هناك .

وافترقنا في جواياكويل .. اذ بقي هيرمان هناك في انتظار الجذوع والبامبو على أن يحضرها الى بيرو بالسفينة ، وطرت أنا الى ليما ، عاصمة بيرو ، لأبحث عن مكان نبني فيه الطوف ، وهناك ركبت « الباص الى ميناء « كالاو » . فوجدت الميناء غاصا بالسفن والناس .

وقلت في نفسي :

« لن يمكننا بناء الطوف هنا ، الناس هنا كثيرون جدا وسوف يتجمعون حولنا بدافع الفضول وعندما تتصرف سيدمرون الطوف تدميرا »

وجاءتني فكرة .. يجب أن نبني الطوف داخل



تعويم جذوع أشجار البلزا
التى قطعناها من الغابة .

أسوار الميناء نفسه ، فهناك رجال مسلحون وسوف يتولون حراسته ·

* * *

ذهبت لمقابلة وزير البحرية ، وسألته أن يأذن لى ببناء الطوف داخل أسوار الميناء ·

قال الوزير :

كم كان يسعدنى أن أساعدك أيها الشاب ، ولكننى لا أستطيع أن أعطيك مثل هذا الاذن ، عليك أن تسأل وزير الخارجية ، أكتب خطابا لوزير الخارجية ، أتمنى لك حظا سعيدا !

كنت أحمل معى بالفعل خطاب توصية الى رئيس جمهورية بيرو ، ولذا قررت أن أذهب اليه رأسا ، وطلبت مقابلة الرئيس دون جوزيه بوستا منتى بى ريفيرو ، وبعد يوم أو يومين أبلغت بأن أذهب الى القصر الجمهورية فى الساعة الثانية عشرة ظهرا

يقع قصر الرئيس فى وسط المدينة . ويقوم على حراسته رجال مسلحون ، واصطحبنى بعض الجنود الى أعلى الدرج وقادونى الى نهـاية ممر طويل ، وهناك سئلت عن اسمى ثم اقتدت الى حجرة كبيرة بها مائدة طويلة ، واستقبلنى هناك رجل يرتدى زيا أبيض ، وطلب منى أن أجلس ، ثم اختفى ، وبعد قليل أخذت الى غرفة أكبر حيث تقدم نحوى رجل يرتدى زيا يدل على العظمة .

فكرت فى نفسى انه « الرئيس » ، ولكننى كنت مخطئا ، اذ قدم لى الرجل كرسيا واختفى ، وبعـد دقيقـة جاء خادم واقتادنى الى حجرة رائعـة الاثاث والرياش ، واختفى الخادم ، وجلست وأنا أتطلع الى ما حولى معجبا بأناقة الغرفة ، ثم دخل رجل آخر ، انه لم يكن الرئيس أيضا ، وانما كان يحمل لى رسالة من الرئيس .

قال :

« الرئيس يرسل لك تحيـاته وسـوف يراك فورا » .

وبعد عشر دقائق دخل الغرفة رجل آخر كانت تبدو عليه معالم الأهمية ،فقفزت من مقعدى وانحنيت بأدب ولكن الرجل انحنى بأدب أكبر ، ثم اقتادنى الى غرفة صغيرة جدا بها كرسيان فقط ، وتركنى ٠

ودخل الى الغرفة رجل قصير القامة يرتدى حلة بيضاء ولا يحمل أى علامات رسمية ، فلم أتحرك من مكانى ، ولكنه كان هو الرئيس ٠

كان الرئيس لا يتحدث الانجليزية ، وأنا لا أتحدث الأسبانيــة ، فلمــا طلبت الاذن لى ببناء طوف داخل الميناء لم يفهمنى الرئيس ، ولكنه خرج وعاد بعد دقائق مصطحبا معه وزير الطيران ٠

كان وزير الطــيران الجنرال ريفيريدو يتحدث الانجليزية جيدا ، وأخبرته بخططى ، وأخذ هو يشرحها للرئيس بالأسبانية ، وكان الرئيس ينصت باهتمام بالغ

وبعد ان اســـتمع الرئيس الى كل شيء التفت نحوى ٠

وقال :

ــ هل تعتقد أن أول ناس عمروا جزر المحيط الهادى جاءوا من بيرو ، اذا كان هذا ممكنا فان بيرو مهتمة ببعثتكم جدا ، كيف نستطيع أن نساعدكم ؟

قلت :

ــ اننا نريد أن نبنى الطوف داخل أسوار الميناء ، هل تأذن لنا بذلك ؟

سأل الرئيس باهتمام :

ماذا يريد ؟

اجاب ريفيريدو وهو يبتسم لى مشجعا ! « لا يطلب الكثير » ، وشرح الأمر للرئيس الذى أعطى موافقته على الفور .

ووعدنى ريفيريدو بأن يبلغ وزير البحرية بأن يساعدنا .

ثم ضحك وقال :

الله يحفظكم جميعا !

ونشرت صحف ليما موضـوع المغامرة البحرية التى ينوى النرويجيون القيام بها على ظهر طوف يعبر المحيط الهادى ، كما نشرت أيضا خبرا عن عودة بعثة سويدية فنلندية من الأمازون وكانت هذه البعثة قد ذهبت الى هناك لتدرس أحـوال الهنود فى غابات الأمازون وقالت ان اثنين من أعضاء البعثة السويديين قد وصلا الى ليما ، وأحدهما ويدعى بنجت دانيلسون ينوى البقاء لدراسة أحوال هنود الجبال فى بيرو ٠

وذات صباح كنت جالسا فى فندقى أكتب خطابا الى هيرمان أبلغه فيه بما تم بشأن الترتيبات الخاصـة ببناء الطوف ٠٠ وفجأة ، سمعت طرقة على باب غرفتى ، ودخل الى الغرفة رجل طويل القامة ، قوى الجسم ، له لحية حمراء ٠

فكرت فى نفسى :

« بنجت دانيلسون » !

قال الرجل :

انا بنجت دانيلسون !

فكرت فى نفسى :

لقد سمع عن خطة الطوف !

قال الرجل :

لقد سمعت بخطة الطوف !

فكرت فى نفسى :

والآن هو يريد أن يدمر فكرتى !

قال الرجل :

والآن أريد أن أذهب معك على هذا الطوف !!

لم أكن أعرف شيئا عن السويدى بنجت دانيلسون سوى انه يتميز بشجاعة فائقة ، وأصبح بنجت العضو السادس فى بعثتنا ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع التحدث بالأسبانية .

ولكن الرجال الستة كانوا فى اماكن مختلفة ..
هيرمان فى اكوادرو لا زال ينتظر وصول جذوع الأشجار .. كنوت هوجلاند وتورستين رابي وصلا لتوهما الى نيويورك بطريق الجو .. اريك هيسيلبرج أبحر من أوسلو ، وانا طرت الى واشنطون ، وبقى بنجت فى ليما ينتظر وصول الآخرين ، ولم يكن أحد من رفاقي الخمسة يعرف الآخر ، وكانوا جميعا من أنماط مختلفة .

وفكرت فى نفسى :

هذا أحسن .. فهم لن يتعاركوا !

عدت الى ليما فى شهر فبراير ، ووصل كنوت وتورستين وأريك الى ليما فى الوقت نفسه تقريبا . أما هيرمان فقد تاخر قليلا بسبب وقوع حادث له كاد يكسر رقبته ، ولكنه لم يلبث أن لحق بنا ومعه جذوع الأشجار ، واجتمعنا كلنا لأول مرة .

كانت جذوع أشجار البلزا الكبيرة وأكوام

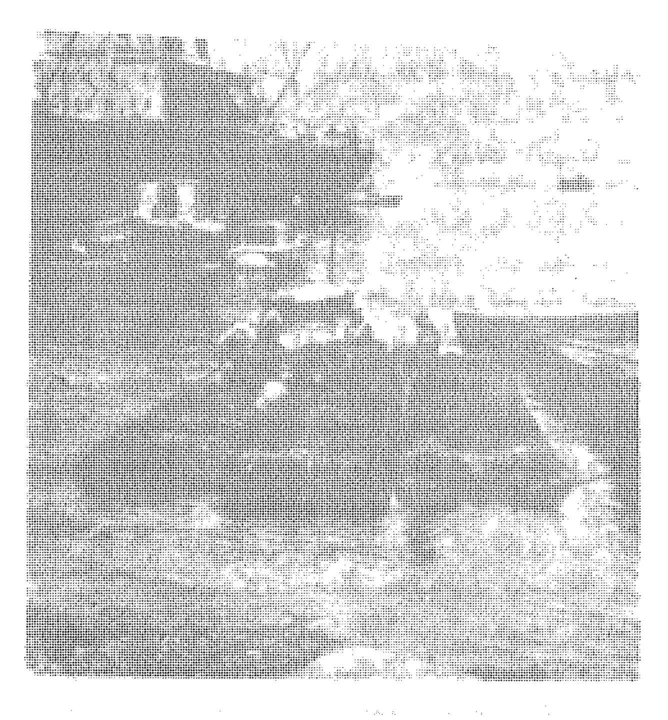
الخيزراون الأصفر ملقاة فى مياه الميناء تحيط بها السفن الحربية الرمادية اللون ٠٠ كان منظرا غريبا ، وحملنا فئوسنا وشرعنا فى بناء الطوف وكان العسكريون فى ازيائهم الزرقاء والذهبية يمرون بجانبنا فى سفنهم وهم يتطلعون الينا ، اذ لاول مرة منذ مئات السنين يجرى بناء طوف من أخشاب البلزا فى ميناء « كالاو » ٠

احترنا أضخم تسعة جذوع لبناء الطوف ٠٠ وضعناها جنبا الى جنب فى الماء أطولها فى المنتصف ، وهو جذع يبلغ طوله ٤٥ قدما ، والى جانبيه الجذوع الأقصر بحيث يكون الأكثر قصرا الى الخارج ، وبهذا تكون جانبا الطوف وطول كل من الجانبين ٣٠ قدما ٠ وعند مؤخرة الطوف كانت الجذوع الثلاثة الوسطى أطول قليلا من الجانبين الآخرين ، ووضعنا جذعا قصيرا سميكا بالعرض على الجذوع الأخرى ليكون بمثابة دعامة تثبت بها دفة التوجيه ٠

وربطنا الجذوع التسعة الكبيرة معا بالحبال ، ووضعنا فوقها عددا من الجذوع الرفيعة بالعرض ،

يبعد كل منها عن الآخر بمقدار ثلاثة أقدام ، وثبتناها أيضا بالحبال ، لقد استخدمنا حوالى ثلثمائة متر من الحبال ولم نستخدم أى مسامير ، وبذلك انتهينا من الجزء الرئيسى فى الطوف .

وصنعنا ظهر الطوف من الخيزران وكسوناه بحصر من الخيزران المفكك ، وفى وسط الطوف بيننا قمرة صغيرة جدرانهـا من الخيزران وسقفهـا من النباتات واوراق الشجر ، وأمام القمرة وضعنا عمودين قويين ليكونا بمثابة الصوارى للشراع المربع الكبير وربطنا قمة الصاريتين معا وثبتنا فوقهما صارية أقصر لنرفع عليها ايريال اللاسلكى ، فهذه ينبغى أن تكون فى أعلى مكان ممكن .. وكانت هناك مسـافات واسـعة بين الجذوع سددناها بالواح من الخشب . وهـذه الألواح المركزية كانت تحت الماء بمقدار خمسة أقدام ، كل أطواف الانكا كانت لها مثل هذه الألواح المركزية فهى تساعد على تسيير الأطواف ، وقد كان طوفنا نسخة طبق الأصل من أطواف الانكا .



وربطنا الجذوع التسعة الى بعضها بالحبال ..

كنا فخورين جدا بطوفنا و ولكن عندما جاء وزير البحرية وفحصه بدت عليه معالم الدهشة والانزعاج ،

وقال :

« انه ليس آمنـــا ، اذا غرق هــذا الطوف فان وزارتى لن تكون مســئولة ، ســـوف تبحرون على مسئوليتكم » ٠٠ وطلب منى أن أوقع على ورقة بذلك !

وزارنا عدد من الأشخاص المهمين ، وحثونا أيضا على التخلص عن الرحلة ٠

قال أحدهم :

« سوف تحزن أمك وأبوك حزنا شديدا عندما يسمعان بوفاتك ، لن تستطيع أن تعبر البحر حيا بهذا الطوف ، انه صغير جدا وسوف يغرق فى البحر الهائج، ان الجذوع سوف تنكسر ، سوف يعوم الطوف بعض الوقت ولكن الجذوع ســوف تمتلىء تدريجيا بالمــاء ، ويغرق الطوف » ٠

· كانت النغمة مثبطة ، ولكننا لم نغير من خططنا ، وحدث أن جاءت سفينة نرويجية الى الميناء ، فسألنا قبطانها عن رأيه ·

فقال :

« الطوف قـــد لا يغـرق ، ولـكن الشراع لن يسعفكم ·· ان الرحلة سوف تستغرق ستة أشهر على الأقل ، وربما تستغرق سنتين » !

ونظر أحد البحـــارة الى الحبال ، وهز رأســـه : « لا تقلقوا ·· انكم لن تبقوا فى البحر طويلا ان الحبال تبلى فى أسبوعين نتيجة لاحتكاك الجذوع بها ·· أنتم تحتاجون الى حبال من السلك ! » ·

كان كل من نقابله يحذرنا من الأخطار وشعرت بقلق شديد ·

وأخذت أسائل نفسى ·

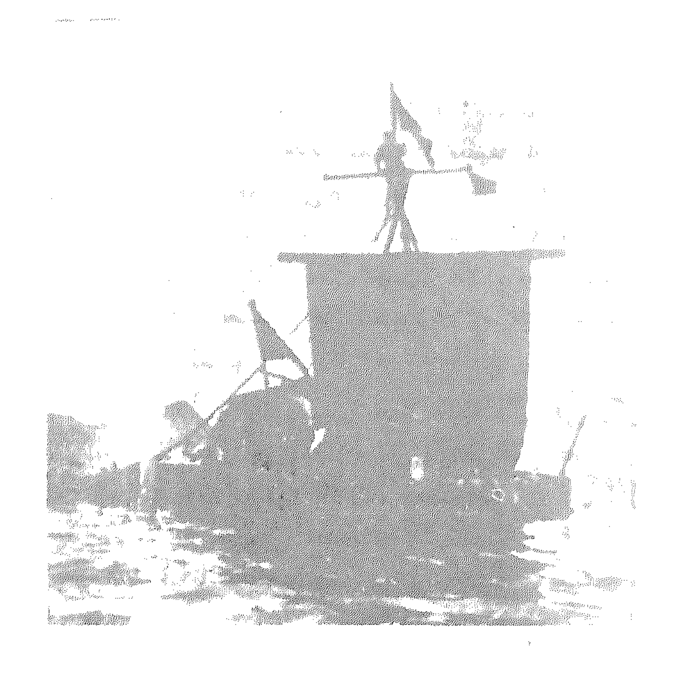
ــ « ألست أحمق ؟ هل تفهم معنى الخطر ؟ انك لست ملاحا ! » ولكن شيئا واحـــدا كان يطمئنى هو

« ان الانكا كانوا يستخدمون أطوافا مثل هـــذا وقد ابحروا بها من بيرو الى جزر المحيط الهادى » !

وبعد أيام قليـــلة بدأنا نزود الطـــوف بالمؤن استعدادا للرحلة ، فأخذنا طعـــاما يكفينا لمدة أربعـة اشهر ، ووضعنا الطعام فى صناديق قوية ، وحميناها من ماء البحر ، وخزناها تحت القمرة الخيزرانية ، وملأنا ٥٦ صفيحة خاصة بالماء العذب حوت ٢٥٠ جالونا ، وفوق سـطح الطوف المصنوع من الخيزران وضعنا أدواتنـا وبعض سلال الفاكهة ٠

ثبت كنوت وتورستين جهاز اللاسلكى فى ركن القمرة ، ومدا سلكا بين الجهاز والايريال فى أعلى الصارى، وأخذنا صندوقين مليئين بالآلات والأدوات ، وكان لكل رجل صندوق مخصص لممتلكاته الشخصية ، وقد أخذ بنجت ٧٣ كتابا فى صندوقه ! ٠٠ وأصبحنا مستعدين للابحار ٠٠

وجربنا أولا حمولة الطوف ، فقاد قارب بقطره فى جولة حول الميناء وشعرنا بالاطمئنـــان على أن الحمـــولة



واصبح الطوف جاهزا للابحار ..

مناسبة وكل شيء في مكانه الصحيح وعنـــدئذ ربطنا الطوف في سور النادي بالميناء ٠

★ ★ ★

وفي يوم ٢٧ أبريل رفعنا العـــلم النرويجي على الطوف ، كما وضعنا أعلام الدول الأجنبية التي ساعدتنا ، وأسمينا الطوف « كون ـ تيكي » ثم وضعنا الشراع ٠٠ وفي وسط الشراع كانت تبدو رأس « كون ـ تيكي » فقد رسمها اريك بالطلاء الأحمر نقلا عن تمثال حجري لذلك الاله القديم ٠٠ وكان عـــدد كبير من النـــاس يشاهدون الاحتفال ، وعندما رأوا رأس « كون ـ تيكي » على الشراع صاحوا مبتهجين ، وعم الانشراح الجميع ! ٠

وبعد الاحتفال ذهبنــــا لتوديع الرئيس وأخبرناه بأننا سنبحر في اليوم التالي ٠

ثم ذهبنا الى الجبال ، وأخذنا ننظر الى الصخور ، ونتظاهر بأننا قد سئمنا الطوب والأرض واننا نشتاق الى الابحار بعيدا لنعرف كل ما يمكن معرفته عن البحر !



الفصل الرابع

عبر المحيط الهادى (١)

أبحرنا يوم ٢٨ أبريل ، ومنذ الصباح الباكر كان ميناء « كالاو » يعج بالحركة فقد جاء عدد كبير من الناس لمشاهدتنا ، وكان وزير البحرية قد أمر بتخصيص زورق قطر لسحب الطوف الى خارج الميناء ٠

عندما وصلت الى الميناء كان هيرمان وحـــده فى الطوف لحراسته ٠٠ خرجت من الســـيارة وقفزت الى سطح الطوف ٠٠ كانت الصناديق وسلال الفاكهة ملقاة فى شكل كومة على السطح فقد جىء بها فى آخر لحظة وألقيت هناك ، وفى وسط هذه الكومة يجلس هيرمان ، كان يمسك بين يديه قفصا به ببغاء أخضر أخذه كهدية من صديق فى بيرو ٠

قال هيرمان :

ـ خذ بالك من الببغاء•قليلا ريثما أذهب الى الشاطيء وآخذ مشروبا ، ان الزورق لن يصل قبل وقت طويل .

ذهب هيرمان ليأخذ مشروبه ، وبعد دقائق وصل الزورق ، كان زورقا بخاريا كبيرا مهمته أن يسحب طوفنا من بين القوارب الأخرى الراسية في الميناء ، وكان الزورق مليئا بالضباط والبحارة .. وأصدر الضباط بعض الأوامر ، وعلى الفور شرع البحارة فى ربط طوفنا الى الزورق بحبل متين .

صحت فيهم :

ـ لحظة من فضلكم .. لا يزال الوقت مبكرا على الرحيل ! يجب أن ننتظر وصول الرجال الآخرين !

وأشرت الى المدينة ..

ولكن أحدا لم يفهمني ، وابتسم الضباط فى أدب ،

وكانوا على وشك اصدار أوامرهم بالانطلاق فاندفعت نحو الحبل ، وفككته وألقيت به فى الماء ، وأخذت ألوح بذراعى راسما علامة الرفض أمام الضباط ، ويبدو أن هذه الحركات أزعجت الببغاء ففتح باب القفص وهرب الى الخارج وانطلقت أنا وراءه فوق الأرضية الخيزرانية محاولا الامساك به ، ولكن الطائر نطق عدة كلمات بذيئة باللغة الاسبانية وطار الى داخل القمرة ، وأخيرا استطعت أن أمسك به وأعيده الى قفصه مرة أخرى ·

فى هذه الأثناء كان البحارة قد ثبتوا الحبل فى الطوف مرة أخرى ، وبدأ الزورق البخارى يتحرك قاطرا وراءه « كون ــ تيكى » فى بداية رحلته الطويلة ، كان رفيقى الوحيد هو الببغاء ، وأخذ الناس على الشاطىء يبتهجون ويلوحون بأيديهم ، والتقطت صور كثيرة ، انتابنى اليأس ووقفت على الطوف أتطلع الى رؤية زملائى الخمسة ولكن أيا منهن لم يظهر .

واستطعت أن أصل الى زورق القطر وصعدت اليه وأنا فى حالة من الغضب ، ويبدو أنهم فهموا أن هناك

خطأ ما ، فأوقفوا المحرك وأرسلوا قاربا الى الأرض ، وعاد القارب مليئا بفتيات جميلات ! ولكنه لم يحضر أيا من رجال الرحلة ، وصعدت الفتيات الى الطوف بينما عاد القارب مرة أخرى للبحث عن الرجال الغائبين .

في هذه الأثناء كان اريك وبنجت ينزلان الى الميناء ، وأخبرهما أحد رجال البوليس بأن « كون - تيكى أبحر منذ ساعة » ، فلم يصدقاه ، وأخذا يتمشيان هنا وهناك بحثا عن الطوف فالتقيا ببقية الأعضاء ووصل القارب لأخذهم .

أحضر القارب الرجال الخمسة الى الطوف وبذلك اجتمع شملنا جميعا .

وقبيل غروب الشمس كان الزورق قد قطرنا الى البحر ، وكانت تتبعنا منذ بداية الرحلة قوارب صغيرة ، وأخذ كون - تيكى يتبع الزورق البخارى مثل عنزة غاضبة مربوطة من عنقها فى حبل ، فهى تضرب برأسها فى البحر ، واندفعت المياه فوق الطوف ، وبدا ذلك سيئا غاية السوء ، فالبحر هنا لا يزال هادئا نسبيا

فما بالك بالمحيط وأمواجه ، وفي منتصف الخليج انقطع الحبل واندفع الزورق بدوننا ، ولكن القوارب الكبيرة استطاعت الاسراع وايقاف الزورق ·

قال هيرمان محاولا أن يتفاءل :

ـ عندما تبدأ الأمور بداية سيئة عادة ما تنتهى نهاية حسنة ، ولكنى سأكون سعيدا اذا تخلصنا من هذا الزورق ، ان عملية السحب سـوف تدمر طوفنا تدميرا !

وأخذ الزورق يقطرنا طول الليل حتى ابتعدنا عن الشاطىء واختفت أنواره عن أعيننا · ولكننا شاهدنا فى ظلام الليل أضواء بعض السفن القليلة ، وفى الصباح كانت ملابسنا قد ابتلت تماما ، وكل شىء فوق الطوف ابتل أيضا ، كانت المياه خضراء باردة ، فقد وصلنا الى تيار « همبولت » ، وهذا التيار يجلب الماء البارد من القطب الجنوبى ·

كنا قد ابتعدنا خمسين ميلا عن الأرض وتوقف

الزورق عن قطرنا ، فنزلنا اريك وبنجبت وأنا فى قاربنا المطـاطى الصغير وجدفنـا حتى وصـلنا الى الزورق ، واعتليناه وهناك أطلعنا الضباط على مكاننا بالضـبط فوق الخريطة ، وقالوا « عليكم أن تضيئوا الأنوار فى الليالى القليلة الأولى حتى لا تفاجئكم سفينة وتسحقكم ، ولكن لا حاجة للأضواء بعد ذلك لأن السفن لا تبحر فى هذا الجزء من المحيط الهادى ٠

ودعناهم ، وعدنا بالقارب المطاطى الى كون ـ تيكى، وأبحر الزورق البخارى بعيدا ، فأخذنا نراقبـه حتى اختفى عن أنظارنا ٠

قال تورستين :

ـ وداعا ٠٠ وداعا ٠٠ والآن يا أولاد علينا أن نبدأ !

ضحكنا ، والتفتنا نبحث عن الريح ، كانت الريح ضعيفة جدا ، نشرنا الشراع ، ولكنه تدلى خاويا ، القينا قطعة من خشب البلزا فى الماء ، فلم تكد تتحرك ٠

قال بنجت :

ـ آمل ألا نعود مرة أخرى الى كالاو ! ·· لقد كانوا فى غاية اللطف معنا وهم يودعوننا ولكنى لا أعتقد أنهم سيرحبون بعودتنا ثانية !

وأشعل بنجت موقد الكيروسين وأعد لنا مشروبا ساخنا ، وجلسنا ننتظر الريح ·

وأخيرا ، هبت الريح ، وامتلأ الشراع ، وفى بطء أخذ كون ـ تيكى يتحرك الى الأمام ·

★ ★ ★

أنزلنا دفة التوجيه الى الماء ، وأخذنا نراقب السير ، فى الجو الحسن كان اثنان منا يراقبان ، والآخرون يخلدون الى الراحة ، وحاولنا أن نقيس سرعة الطوف ، فألقينا بقطع من الخشب فى الماء وأخذنا ننظر الى ساعاتنا ونعد الثوانى : « واحد ·· اثنان ·· ثلاثة ·· ثمانية عشر ·· تسعة عشر ! » كان القارب يجتاز كل قطعة من الخشب فى ١٩ ثانية ·· ان كون تيكى لا يجرى مسرعا ، ولكنه يتحرك الى الأمام ·

كان توجيه الطوف مشكلتنا الكبرى ، فالطوف هو طبق الأصل من الأطواف الهندية القديمة ، ولكن لا أحد يعرف كيف كان الهنود القدماء يوجهون أطوافهم ، كنا نجعل الريح دائما وراءنا ، ولكن اذا استدار الطوف كثيرا كان الشراع يدور ويضرب الرجال ويرتطم فى القمرة الخيزرانية · وعندئذ يدور الطوف حول نفسه وتصبح مؤخرته في المقدمة ! ·

ولذلك كانت عملية توجيه الطوف شاقة للغاية ، اذ كان على ثلاثة رجال أن يكافحوا للسيطرة على الشراع بينما الثلاثة الآخرون عند مؤخرة الطوف يمسكون المجداف · والمجداف طوله ١٩ قدما وكان ثقيلا جدا ، وكان علينا أن نستعين بكل قوتنا حتى نمسكه بثبات ، ولذا كانت أصابعنا تؤلمنا بشدة ·

قلت :

« اذا أسقطنا المجداف من أيدينا سوف يغرق »

وأخذت الريح تشتد حتى أصبحت قوية جدا بعد الظهر ، واشتد هياج البحر ، فكانت الأمواج تضرب

بشدة فى مؤخرة الطوف ، ها قد جاء البحر لملاقاتنا ! ..
كل شىء الآن يعتمد على طوف البلزا ، ترى كيف سيتصرف فى وسط البحر ؟ اننا لن نستطيع العودة الآن ، لا توجد ريح يمكن أن تحملنا مرة أخرى الى الشاطىء ، كل يوم سوف يدفعنا أكثر وأكثر فى وسط البحر ، وقررنا أن نبحر فى اتجاه الشمس . فالأرجح أن كون ـ تيكى القديم كان يتبع الشمس عندما أبحر من بيرو .

ولم تلبث أن أقبلت نحونا أولى الأمواج القوية ، فاعتلاها الطوف الخشبى برشاقة وأمان ، وشعرنا بالارتياح . ولكن واجهتنا مشكلة ، فقد رفعت الأمواج القوية المجداف من مكانه ، ولم يكن فى مقدور رجلين أن يمسكا المجداف بثبات فى البحر الهائج ، ولذلك فقد ربطناه الى الطوف بالحبال .

وصلنا الى أعنف جزء فى تيار همبولت . أصبح الماء شديد الخضرة والبرودة ، ثم جاء الليل ومعه مقلقات جديدة ، اذ كنا لا نعرف ما اذا كان البحر صديقا أم



كان اريك يحدد موقعنا يوميا عل الخريطة .

عدوا ، وفى الظلام كنا نسمع الصخب المعتاد للبحر ..
وفجأة سمعنا زمجرة هائلة واندفعت نحونا موجة عاتية
بدت أعلى من قمرة الطوف وكان فى استطاعتنا أن نرى
قمتها البيضاء فتشبثنا فى الطوف بأقوى ما نستطيع .
وانتظرنا فى قلق ، وتكسرت الموجة فوقنا وفوق الطوف
بأكمله ، ولكن كون ـ تيكى علا فوق سطح الماء فى انتظار
موجة كبيرة أخرى ، فدهشنا وشعرنا بالارتياح ، وظللنا
نشعر بنفس الدهشة والارتياح كلما هاجمتنا مياه
المحيط العالية .

أحيانا كانت موجتان كبيرتان تعقب احداهما
الأخرى فورا ، وعندئذ تنكسر الموجة الثانية فوق مؤخرة
الطوف مما يجعل الرجال الممسكين بالمجداف فى خطر
بالغ ، وقد أوشكوا بالفعل على السقوط فى البحر عدة
مرات ، ولذا فقد قررنا ان نربط أنفسنا بالحبال الى
الطوف عندما نكون ممسكين بالمجداف .

كان هناك دائما رجلان عند المجداف .. وعندما
تقترب موجة كبيرة يرفعان المجداف ويمسكان فى عمود

حتى تنكسر الموجة ، وعندئذ يرتميان على المجداف مرة أخرى ويحولان دون دوران الطوف حول نفسه ٠

في تلك الاثناء كان اريك يتابع مجرى السير ويحاول أن يحدد موقعنا وسرعتنا ، بينما دخل الآخرون الى القمرة وحاولوا أن يناموا ٠

وفي منتصف الليل رأينا أضواء سفينتين فأخذنا نلوح بمصباحنا الصغير وننادى بأعلى صوتنا ، ولكنهما لم يلحظانا ، وفيما عدا ذلك لم نشاهد أية سفينة أخرى حتى وصلنا الى الجانب الآخر من المحيط ٠

لقد علمتنا الأيام والليالى الأولى الكثير عن البحر ٠٠ أصبحنا بحارة حقيقيين ، وفي أول الأمر كان كل رجل يقود الطوف لمدة ساعتين ويخلد للراحة ثلاث ساعات ، ومن يتعب يزحف الى القمرة وينام بملابسه ، وتنقضى الساعات الثلاث سراعا ويحل دوره فيجذبه شخص من الحبل المربوط في وسطه ويوقظه ، وعندئذ يخرج من القمرة ويمسك بالمجداف ساعتين أخريين ٠

وجاءت الليلة الثانية ، وكانت أسوأ من الأولى ، فالبحر ازداد هياجا ، وكان يلقى بنا فوق سطح الطوف ، والماء يتدفق فوقنا من كل جانب ، وتبين لنا أن الامساك بالمجداف ساعتين أكثر مما نحتمل فغالبا ما كان الرجل يتعب خلال الساعة الثانية ، لذلك فقد غيرنا الترتيب وأصبح الواحد منا يعمل ساعة واحدة ثم يرتاح ساعة ونصفا .

وظللنا نصارع الأمواج لمدة ستين ساعة ، كانت هناك أمواج عالية وأخرى منخفضة ، أمواج حادة وأخرى عريضة ، وأيضا أمواج مركبة فوق أمواج . وكان كنوت أكثرنا معاناة ، وشعر بالمرض الشديد ، أما الببغاء فقد قبع فى قفصه وراح يصدر صيحات غاضبة ، ولم يترنح « كون ــ تيكى » كثيرا ولكنه غالبا ما كان يميل على أحد الجانبين .. أحيانا على الجانب الأيسر ، وأحيانا على الجانب الأيمن .

وفى الليلة الثالثة هدأ البحر بعض الشيء .. ولكن الريح ظلت قوية كما هى ، وحدث فى حوالى الساعة الرابعة صباحا أن سمعنا زمجرة مفاجئة ، واندفعت نحونا

انهم يقولون ان طـــائرة السـفير الأمريكي قد غادرت الشاطىء لتوها ، وأن السفير يريد أن يقول لنا « مع السلامة » ويريد أن يرى « كون تيكى » فى البحر .

وبعد ذلك بقليل سمعنا لاسلكى الطائرة فأبلغنا فنى اللاسلكى بالطائرة بموقعنا وأخذنا نرسل اشارات لعدة ساعات ، وسمعنا صوت الطائرة يرتفع ثم يهدأ ويختفى ، لقد كانت طائرة السفير تدور حول المكان ، ولكن الطيار لم يستطع أن يجدنا ، فليس من السهل أن ترى طوقا بين الأمواج العالية ، كما أننا لم نستطع رؤية الطائرة ، وأخيرا استدارت الطائرة وقفلت راجعة الى الشاطىء . ولم يحاول أحد أن يبحث عنا بعد ذلك .

وخلال الأيام القليلة التالية ظل البحر خشنا ، ولكن القيادة أصبحت أسهل ، لقد تعودنا على البحر الهائج ، ولم يعد يلفت نظرنا ، فقد كنا دائمـــا فوق الأمواج ، ولكن أخذت تلح على فكرة معينة « هل يمكن أن يظل الطوف طافيا دائما ؟ » ان جذوع البلزا أصبحت مشبعة بالماء حتى انه كان فى امكاننا أن نعصر المـــاء

بأصابعنا من الخشب ، وكسرت قطعة من الخشب المبتل وألقينها فى البحر فغرقت فى الحال ، ولم أخبر الآخرين بذلك حتى لا يخافوا ، ثم علمت أن اثنين أو ثلاثة منهم فعلوا نفس الشىء ·

ولكننا عندما ضربنا بسكين واحدا من الجذوع وجدنا أن سطحه فقط هو الذى يحوى ماء أما الجذع نفسه تحت السطح الخارجى فهو صلب وجاف ، فشعرنا بالارتياح البالغ ، وقلنا : « ان الطوف لن يغرق ·· قد يهبط قليلا تحت سطح الماء ولكنه سيظل طافيا » ·

ولكننا كنا أشد قلقا على الحبال ، لم نكن نشعر بهذا القلق أثناء النهار بسبب انشغالنا بكثير من الأشياء ، ولكن عندما يأتى الليل ، ونرقد على الحصر فى أرضية القمرة كنا نستطيع أن نشعر بالحبال بل ونسمع صوتها ، فقد كانت جذوع البلزا تتحرك من تحتنا ، تعلو برفق ثم تهبط ، كأنها حيوان ضخم يتبنفس ، فنخشى على الحبال أن تتهرأ وتتمزق ، وكانت الليلتان التاليتان أكثر سوءا ولكن الحبال لم تلبث أن تشبعت بالماء وانتفشت ، مما جعلها تربط بين الجذوع التسعة ربطا

يرسل واحدة لكل واحد منا ، ولكن ذات صباح وجدنا ٢٦ سمكة طائرة كبيرة فوق سطح الطوف !

ذات يوم ، في الساعة الرابعة صباحا ، استيقظ تورستين فجأة ، سقط المصباح ، وأحس بكائن بارد مبتل يلمس أذنه فظن أنه سمكة طائرة ، ولما أمسك به في الظلام وجده شيئا طويلا مبتلا يتلوى كالثعبان ، فالقى به على الأرض فورا ، واشعل المصباح ، وسارع هيرمان فأمسك بالزائر الغريب من عنقه ، كان سمكة رفيعة طويلة ، رفيعة كالثعبان وطولها أكثر من ثلاثة أقدام ، ولها عينان كابيتان وأسنان كثيرة حادة ، وفجأة خرجت من فمها سمكة صغيرة ، ثم خرجت سمكة ثانية ، كانتا قد ابتعلتهما في البحر .

استيقظ بنجت على الضجة ، فأمسكنا بالسمكة الطويلة ووضعناها تحت أنفه ، وجلس وهو يحك عينيه .

وقال :

« لا .. لا يمكن أن توجد سمكة كهذه » !

وكان بنجت محقا تقريبا ، فلم ير أحد مثل هذه السمكة حية من قبل ، وقليلون جدا رأوها ميتة وهذه السمكة اسمها « جيمبيلوس » Gempylus وقد أمسكنا بواحدة أخرى من نفس النوع بعد ذلك بأسبوع ٠

ان البحر ملئ بالمفاجآت بالنسبة لرجال فوق ظهر طوف ، معظم الناس يعبرون البحر فى سفن كبيرة تعمل بالمحركات فلا يستطيعون رؤية ما تحت الماء ولكننا على الطوف كنا نرى مخلوقات عجيبة كثيرة وفى كل يوم كان يزورنا ضيوف غرباء بعضهم غير مألوفين اطلاقا ٠ أما الدرافيل فكانت تتبع الطوف عبر البحر ، وظلت معنا طول الوقت ٠

وفى الليالى المظلمة كانت بعض المخلوقات تبدو لامعة مثل قطع من الجمر الملتهب ، وأحيانا تبرز فوق صفحة الماء عينان لامعتان تحملقان فينا ، فنشعر بالخوف ، ونجذب أرجلنا سريعا من الماء ! وأحيانا كانت تحيط بالطوف رءوس غريبة تضوى عيونها الواسعة كما لو كانت أضواء كهربائية ٠

وجها كبير قبيحا ، كان الرأس عريضا مفلطحا ، والعينان صغيرتين ، والفم باتساع أربعة أو خمسة أقدام ، وخلف الرأس جسم ضخم له ذيل طويل ، ولونها بني به نقط بيضاء صغيرة ، كان هذا المخلوق يعوم خلفنا بهدوء وكسل ، وبعض الأسماك تعوم أمامه ، وتوجد سمكة فوق جسمه !

أحضرنا أكبر ما لدينا من خطاطيف صيد السمك وحاولنا اصطياد هذه السمكة الضخمة أحضرنا سمكة درفيل وشبكنا فيها ستة خطاطيف وألقينا بها فى البحر ، عام المخلوق ببطء نحو الدرفيل ، ثم اقترب من الطوف وحك ظهره في المجداف الثقيل ، وأخذنا نتفحص المخلوق عن كثب ، وضحكنا بصوت عال وصحنا للمنظر الغريب ، كنا فى غاية الاضطراب وظننت للحظة اننا أصبنا جميعا بالجنون .

كان هذا المخلوق حوتا ، أكبر سمكة فى العالم ، ان متوسط طول الحوت يبلغ حوالى خمسين قدما ، ويزن حوالى ١٥ طنا ، واكبر الحيتان حجما قد يصل

طوله الى ٦٥ قدما ، ولكن عدد الحيتان قليل جدا فى المحيطات ٠

اخذ المخلوق يعوم حول الطوف ويمر من أسفله ، فى بعض الأحيان كنا نرى رأسه عند جانب من الطوف وذيله عند الجانب الآخر وكان هذا المنظر يبهجنا جدا ، ولكننا شعرنا بشىء من القلق ، فالحوت قوى جدا ، وفكرت أنه قد يحطم الطوف قطعا متناثرة ٠

ظل الحوت يتعقبنا حوالى ساعة وأخيرا فقد اريك أعصابه وكان يقف عند زاوية الطوف ممسكا بحربون فى يده [حربة طويلة لصيد الحيتان] ، فصاح صيحة هائلة ودفع بالحربون فى رأس الحوت ولكن الحوت لم يبد عليه أنه شعر بشىء وفجأة وقف هذا المخلوق الغبى على قمة رأسه وغطس فى البحر واندفعت المياه فـوق الطوف ، ووقع ثلاثة رجال على السطح وأصيب آخران ، وبعد لحظات ظهر جزء من الحربون على سطح البحر ، ولكننا لم نر الحوت ثانية ٠

يقرأ كتبه ، وكان هيرمان يفعل أشياء كثيرة ، يجرى تجارب على الآلات ويفحص حاله الطوف ، أما كنوت وتورستين فكانا دائما مشغولين باللاسلكى ، ولم يكن من السهل تشغيل محطة اللاسلكى الصغيرة التى على الطوف لأن أمـــواج المحيط كثيرا ما كانت تفســـد الأجهزة ومع ذلك كان كنوت وتورستين يرسلان تقارير عن الجو كل ليلة يتلقاها هواة اللاسلكى فى واشنطون وكل مكان .

وكان اريك مكلفا باصلاح الأشرعة والجبال ويقضى وقت فراغه فى رسم رجال ذوى لحى ، ورسم الأسماك الغريبة ، وعند ظهيرة كل يوم كان يأخذ بعض الأدوات ويقف على صندوق يقيس ارتفـــاع الشمس ويحـدد موضعنا فى المحيط .

وكنت أنا مشغولا دائما ، أكتب يوميات الرحلة وأصطاد السمك ، وألتقط فيلما للرحلة .

كان لكل رجل واجباته الخاصة ، ولم يكن أحد يتدخل فى عمل الآخرين ، والى جانب ذلك نشارك

جميعا فى العمل الجماعى مثل توجيه وقيادة الطوف وطبخ الطعام ، ولم تكن لدينا قواعد كثيرة نلتزم بها فيما عدا قاعدتين لا يسمح بالفكاك منهما ، الأولى ان على الذين يسيرون الطوف فى الليل ان يربطوا أنفسهم بالحبال من وسطهم ، والثانية ان الأكل يكون خارج القمـــهرة واذا واجهتنا مشكلة كنا نعقد اجتماعا عاما لبحثها معا ثم نتخذ فيها قرارا •

وعادة ما كنا نبدأ يومنا بالسباحة ، ولكننا كنا لا نعوم مطلقـا اذا كانت أســماك القرش قريبة من الطوف ، وبعد السباحة نتناول الافطار بالقرب من حافة الطوف ، وكان الطعام فى الطوف جيدا للغاية وهـو نوعان : المؤن التى أخـذناها معنـــا والأســماك التى نصطادها من البحـــر • وقد ظلت الأطعمة التى فى الصناديق طازجة دائمـــا ومحمية من ماء البحــر ، ولكن الأطعمة المحفوظة فى العلب الصفيح كثيرا ما كانت تفسد •

وقلت لنفسى :

« اننا لن نموت فى هـذه الرحلة من الجـوع او العطش » ·

كنا نسبح كثيرا فى البحر لذلك لم نكن نحتاج الى شرب الكثير من الماء ·· ان الانسان الذى يشعر بالعطش يعتقد أن جسمه محتاج للماء ، واذا كان الجو حارا فانه يشرب كثيرا من الماء ، ولكنه يظل مع ذلك عطشانا ، والواقع ان الجسم لا يكون محتاجا للسوائل وانما هـو محتاج للملح لأنالعرق يطـرد الملح خارج الجسم ، والاستحمام فى البحر يزود الجسم بالملح ، وفى الأيام الحارة بالذات كنا نأكل كمية كبيرة من الملح، بل كنا نخلط مياه البحر بماء الشرب الذى لدينا · والحقيقة اننا لم نشعر مطلقا بالعطش أثناء الرحلة ·

لقد كانت لدى سكان بولينيزيا بعض القصص الغريبة ، قالوا ان أسلافهم كانوا يستخدمون أوراق نبات معين يأخـــذونها معهم فى رحلاتهم البحـــرية ويأكلونها فيختفى العطش · هذا النبات لم يكن ينمو

فى جزر البحر الجنوبى وانما يأتى به البولينيزيون من بلدهم الأصلى ، ما هو هذا النبات ؟ حاول الكثيرون معرفة حقيقته ، والمعتقد انه نبات الكوكا ، فهذا النبات يمكن أن يمنع العطش ، والمعروف ان نبات الكوكا ينمو فقط فى بيرو ·

لم نأكل أوراق الكوكا فى « كون ـ تيكى » ولكن كانت لدينا سلال مليئة بنباتات أخرى وقد ربطنا هذه السلال فى حائط القمرة ، وبمضى بعض الوقت بدأت هذه النباتات تنمو وأصبحت لدينا حديقة صغيرة فوق الطوف ·

لقد وجد الأوربيون نبات البطاطا فى جزر المحيط الهادى ، وجدوا مزارع كبيرة من البطاطا فى جزيرة ايستر وكذلك فى هاواى ونيوزيلندا · ولكن البطاطا كانت تنمو فى الجزر الجنوبية فقط وليس فى الجزر الواقعة غربى المحيط الهادى ، وكان هذا النبات بالغ الأهمية بالنسبة للبولينيزيين ، وهناك قصص كثيرة عن هذا النبات ، يقول البولينيزيون ان تيكى نفسه

شبكتنا ، وكثيرا ما كانت الحيتان الكبيرة تندفع نحو الطوف ، كنـــا نتناول يوما غذاءنا بالقرب من حافة الطوف ، وفجأة سمعنا صفارة قوية خلفنا بدت كما لو كانت صهيل حصان جامح ، وخرج من الماء حوت ضـــخم ونظر الينا ، كان شـــيئا غير مالوف أن نسمع صوت تنفسه تحت الماء ، وقد تعودنا في رحلتنا على الحيتان فقد زارتنا مرارا ، وأحيانا كانت تمر بجوارنا كالسفن العابرة وأحيانا كانت تتجه نحونا مباشرة .

وكانت الدرافيل وأســـماك الزامور(١) تتبـــع الطوف دائما ، ولم نعرف سببا لذلك ، ربما لأن هذه الأسماك تحب أن تعوم في الظل ، فقد كانت الدرافيل وأسماك الزامور تسبح تحت الطوف محتمية بظله ، أو ربما لأنها تحب أكل الحشائش البحرية ، فقد كانت هذه الحشائش تنمو بكثافة على الطوف وهي تنمو بسرعة هائلة ، حتى ان « كون ــ تيكي » سرعان ما أصبح

---

(١) سمك بحرى صغير أزرق اللون كثيرا ما يرافق القروش والسفن كانه يرشدها .

يشبه اله بحر له لحية كثة ، وقد جربنا أكل الحشائش البحرية ولكنها لم ترق لنا ! ..

والدرافيل ذات أحجام مختلفة ، بعضها يبلغ طوله حوالى ثلاثة أقدام ، وبعضها أكثر من أربعة أقدام والدرفيل له جانبان مفلطحان ورأس عالية ترتكز على عنق غليظة ، وهى ذات لون جميل ، اذ تبدو وهى فى الماء خضراء وزرقاء لامعة ، ولكن عندما اصطدنا واحدا منها حدثت أشياء غريبة فقد تحول لونه بالتدريج عندما مات ، فأصبح أولا رماديا فضيا به نقط سوداء ، ثم أصبح أبيض فضيا ، وظل هكذا أربع أو خمس دقائق ثم عاد أدراجه الى لونه الطبيعى ، وأحيانا يغير الدرفيل لونه وهو فى الماء .

وعندما يكون الدرفيل سعيدا فانه يسبح فى الماء ويلهو ، يسبح سريعا ويقفز فى الهواء ويسقط فى البحر مرسلا نافورة كبيرة من الماء ، ثم يقفز عدة قفزات أخرى . ولكنه عندما يكون مغتاظا فانه يعض ، وقد عض درفيل قدم تورستين ذات مرة ، والدرفيل له فك قوى

ومنذ البداية كنا نحترم القروش احتراما كبيرا نظرا لسوء سمعتها ومنظرها المتوحش ، وعندما نشاهد احداها كنا نسرع الى سهام الحربون ونضرب بها القرش بكل قوتنا ولكنه كان يهرب دائما دون أن يصاب بأى أذى ، وقد حدث ذلك مرارا ، فزاد احترامنا لأسماك القرش •

وذات يوم جربنا فكرة أخرى ، اخفينا أكبر خطاطيف الصيد التى لدينا داخل درفيل وثبتنا الخطاطيف فى أسلاك الصيد الفولاذية ، وألقينا بالدرفيل فى البحر ، فجاءت سمكة قرش وابتلعت الدرفيل ، وبالطبع فقد أمسكت الخطاطيف فى حلق السمكة ، فأخذت السمكة تقاوم ، ولكننا استطعنا أن نتغلب على مقاومتها وسحبناها الى سطح الطوف ، وقد استطعنا فيما بعد أن نصطاد مزيدا من أسماك القرش بهذه الطريقة . كان ذلك سهلا جدا •

وأسماك الزامور تسبح مع القرش وتعتمد عليه ، حدث أن اصطدنا قرشا ذات مرة فأصبحت أسماك الزامور التى ترافقه فى حالة من البؤس الشديد ، فقد

أخذت تعوم هنا وهنــاك بحثا عن القرش ثـم عادت وراحت تتبع الطوف ، وبدأت نعتمد على «كون ـ تيكى» بدلا من القرش · والواقع ان عددا كبيرا من أسماك القرش كان يتبعنا دائما ، وبعض هذه الأسماك طوله بوصة واحدة ولكن معظمها يصل الى ست بوصات ، وقد اعتبرناها بمثابة الحيوانات المدللة لكون ـ تيكى ، ولم نؤذ مطلقا أية سمكة زامور ·

ومن بين كائنات البحر جميعـا لم نكن نخاف أو نحذر شيئا قدر الاخطبوط ، فقبل أن نبدأ الرحلة ،

حذرنا الناس قائلين :

« ان الاخطبوط قد يهاجـم الطوف ·· ان هـذه المخلوقات تصعد الى السطح فى الليل ، وهى فى غاية الشراهة ، انها تستطيع أن تأكل اى شىء ، تستطيع أن تقتل سمكة القرش ، انها تطوف على سطح البحر فى الظلام وعيونها الحادة اللامعة يمكنها أن ترى فى الليل ، انها تستطيع أن تمد أياديها الطويلة الى كل

١٨ يونيو :

شاهد كنوت مخلوقا بحريا غريبا طوله من قدمين الى ثلاثة أقدام ، نحيل الجسم ، وقد انتصب واقفا فى الماء ثم انثنى كالثعبان وغطس .

ان البحر ملىء بمثل هذه المخلوقات الغريبة وقد كانت تسلينا وتثير انتباهنا ، ولكننا لم نتحمس للسباحة بينها .

فى بعض الأحيان كنا نعوم تحت الطوف لنفحص الحبال ، وذات يوم انزلقت احدى ألواح الطوف الرئيسية ، وحاولنا أن نجذبها الى مكانها ولكننا لم نستطع الامساك بها ، فغاص هيرمان فى البحر وعام تحت الطوف وهناك رقد بين الدرافيل وأسماك الزامور وأخذ يحاول اصلاح العطب ثم عاد الى سطح الطوف ليتنفس ، وجلس على حافة الطوف ليستريح عدة دقائق ، وفجأة ظهر قرش كبير على مسافة لا تتجاوز عشرة أقدام من ساقى هيرمان ، وأخذ يقترب منا ، فدفعنا بالحربون فى رأس القرش الذى أخذ ينتفض ثم اختفى تاركا بقعة من الزيت فوق الماء .

ظلت الخشبة منزلقة ، ولكن أحدا لم يجرؤ على النزول لاصـــلاحها ، وفجأة جاءت لأريـــك فكرة .

قال :

« يمكننا أن نصنع سلة للغوص ، سوف نصبح فيها أكثر أمنا » وبالفعل فقد صنعنا سلة من الخيزران والحبال كما نغوص بها فى البحر آمنين على أطرافنا من أسماك القرش .

كان الغوص تحت المـاء متعة هائلة ، فالميـاه الباردة تنعشنا ، ويصبح الضوء صافيا وجميلا ، فان اشعة الشمس تنفذ خلال الماء وتضىء جنبات البحر ، والى آلاف الأقدام من تحتنا تسبح الأســـماك من كل شكل ، وكان فى امكاننا رؤيتها بوضوح .

لم تكن هناك علامات نهتدى بهـــا فى البحر ، فالشمس تشرق ثم تغرب ، والنجوم تلمع ثم تختفى ، والأمواج والأســـماك تأتى ثم تذهب . وقد أخبرونا قبل الرحلة انه « ليست هناك أية أرض بين بيرو وجزر البحر الجنوبى ليس هناك سوى الماء لمسافة ٤٣٠٠ ميل»

وقد اقتنعنا بصحة ذلك ، كل منا كان مقتنعا تماما ، وذات يوم ونحن على الطوف كنا نقرأ كتابا عن الرحلات البحرية الى آمريكا الجنوبية ، ووجدنا فى هذا الكتاب خريطة للمحيط الهادى ، وعلى الخريطة علامات تدل على وجود « حيد بحرى » (١) فى مكان ما يقع بالقرب من خط سيرنا ، وقد أدهشنا ذلك كثيرا .

وقرأنا فى الكتاب : « أحيانا تتكسر الأمواج العظيمة على هذه الصخور ، وقد شوهدت هذه الظاهرة فى عامى ١٩٠٦ و ١٩٢٦ على مسافة حوالى ٦٠٠ ميل جنوب غربى جزر جالاباجوس وفى عام ١٩٢٧ مرت سفينة بالقرب من هذه الصخور ولم تشاهد ظاهرة تكسر الأمواج ، وفى عام ١٩٣٥ مرت سفينة أخرى بالقرب من الصخور ولم تشاهد هذه الظاهرة أيضا » .

وهذه المنطقة ـ طبقا لما يقوله الكتاب ـ خطرة بالنسبة للسفن لأن الماء ضحل جدا هناك ولكن ذلك لم يقلقنا .

---

(١) سلسلة صخور تحت سطح الماء .

قلنـــا :

« ان كون ـ تيكى ليس ســـفينة ، انه طوف ، ولا يحتاج الى مياه عميقة » .. وغيرنا اتجاهنا ، وأبحرنا نحو الصخور .

ظللنا نبحر فى هذا الاتجاه لمدة يومين وليلتين. كان البحر خشنا ، والأمواج العالية تندفع ضـــدنا . بعض هذه الأمواج كان أعلى من سقف القمرة بمقدار ستة أقدام ، وذات ليلة انهمرت المياه فوق القمرة ، وكنا نائمين ، فاستيقظنا ، وابتلت ثيابنا . وشعرنا بالبؤس ، وفى اليوم التالى شاهدنا كثيرا من الأسماك الجديدة ثم رأينا طيورا برية تحلق فوق الطوف .

فكرنا قائلين : « ربمـــا نـكون قد وصـــلنا الى الصخور ، ربما نعثر على جزيرة صـغيرة خضراء تنبت فيها الحشائش ، سوف نكتشف أرضـــا جديدة ، وسوف نسميها جزيرة كون ـ تيكى » .. !

وعند الظهر إعتلى اريك ظهر صندوقه ، ونظر

فى آلاته ، وفعل ذلك مرة أخرى فى المساء ، وفى الساعة السادسة وعشرة دقائق أخبرنا بموقعنا

قال :

« نحن الآن نبعد ميلا واحدا عن الصخور » فأنزلنا الشراع وطويناه ، وتركنا الريح تدفعنا ببطء الى المكان .

غابت الشمس ، وأشرق القمر لامعا ، فأضاء سطح البحر .. كانت الأمواج تتكسر حولنا فى كل مكان .. وشاهدنا صفوفا طويلة من هذه المتكسرات ووقفنا على سطح الطوف نبحث عن الصخور ولكنا لم نجد أثرا لها ، وأدلينا حبلا طويلا فى الماء وقسنا أعماق البحر ، فوجدنا أن البحر ليس ضحلا وانما هو شديد العمق ، فقلنا « لاتوجد صخور هنا » وفردنا الشراع مرة أخرى ، وواصلنا رحلتنا .

أثناء بحثنا عن الصخور عرفنا الكثير عن الألواح المركزية ، وبدأنا نفهم الغرض منهما ، وفيما بعد

غطس هيرمان وكنوت تحت الطوف وأصلحا هذه الألواح ، وعندئذ عرفنا المزيد عن هذه الألواح الغريبة ، لقد عرفنا سر الهنود ، فالاسبان القدامى قالوا ان الهنود « يوجهون » أطواف البلزا بواسطة الألواح المركزية ، ولم نفهم ما المقصود بذلك ، وكذلك لم يفهم هذه العبارة أحد ٠

وقد اكتشفنا السر على النحو الآتى : كانت الريح منتظمة والبحر هادئا وكون ـ تيكى يسير فى خط مستقيم لمدة يومين ، ولم نكن نوجه الطوف بدفة التوجيه ، وحدث أن رفعنا اللوح المركزى فى فراغ بالقرب من مؤخرة الطوف فغير كون ـ تيكى فورا من اتجاهه وأخذ يتقدم بثبات فى مجراه الجديد ، فرفعنا اللوح مرة أخرى فاستدار الطوف وأخذ مجراه الأصلى فرفعنا اللوح الى نصف المسافة فقط فاستدار الطوف نصف استدارة ٠ وهكذا أخذنا نحرك هذه الخشبة المركزية الى أعلى والى أسفل ، والطوف يغير اتجاهه طبقا لكل حركة ، بهذه الطريقة الذكية كان هنود الانكا يوجهون أطوافهم ٠

ولكننا لم نستخدم هذه الطريقة ، وظللنا نوجه الطوف بالدفة ، فقد تعودنا عليها ..

نحن الآن في اليوم الخامس والاربعين من رحلتنا في البحـــر ، وهو بالضبط نصف الطريق الى جزر البحر الجنوبى ، فنحن نبعد ٢٠٠٠ ميل عن أمريكا الجنوبية ، وكذلك تفصلنا نفس المســافة عن جزر المحيط « بولينيزيا » ..

ولم نر حتى الآن أية ســـفينة ، ولن نرى أية سفينة فى المسافة المتبقية ، فليست هناك سفن تبحر فى هذا الجزء من المحيط الهادى ، ولكننا لم نكن نشعر بالوحدة ، فالطوف هو كل عالمنــا ، يمضى بنا قدما فوق سطح البحر ، والنجوم تتلألأ فوق رءوسنا فى كل مساء .. !

الفصل السادس

عبر المحيط الهادى (٢)

عندما يكون البحر هادئا كنا ننزل فى القارب المطاطى الصغير للقيـــام بنزهة فى البحـر والتقاط الصور الفوتوغرافية ، ولن أنسى ما حييت المرة الأولى التى فعلنا فيهـــا ذلك ، فقد أخذ رجلان منا القـارب المطاطى وأخذا يجذفان مبتعدين عن الطوف ، وفجأة توقفا عن التجديف ، وتركا المجدافين ، وأخذ يضحكان بشدة ، ونظرنا نحن الذين على الطوف حولنا ، لم يكن هناك ما يضحك ، فظننا أن الرجلين قد جنا ، ربما أثرت حرارة الشمس فى مخيهما ، انهما لايستطيعان حتى معاودة التجذيف ليرجعا الى الطوف ، واستمرا فى الضحك ، والدموع تطفر من عيونهما ٠

وقالا :

تعالوا وشاهدوا بأنفسكم !

وعلى الفور قفزت أنا وزميـل آخـر الى القارب المطاطى ، وحملنا البحر بعيدا ، وفجأة جلسنا وأخذنا نضحك ، فظن الرجلان اللذان على الطوف اننا جميعا قد أصابنا الجنون ، ومن المؤكد انهما شعرا بالقلق وهما يشاهدان رفاقهما الأربعة وقد انفجروا فى هذه النوبة من الضحك الهستيرى فى قلب البحر .

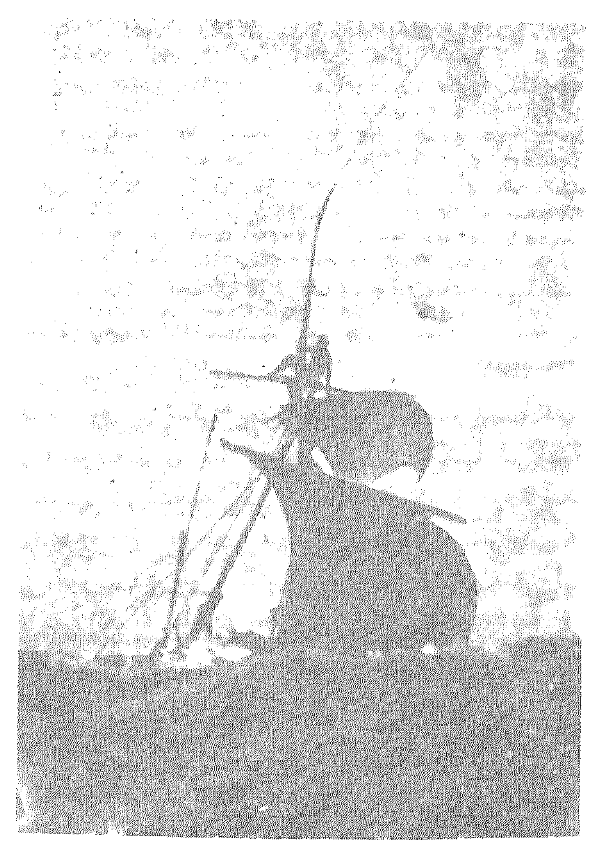
ولكننـا عدنا بعد قليـل وأخبرناهما عما كان يضحكنا ..

لقد كنا سـعداء بأنفسنا وفخورين بطوفنا ، ولكننا لم نر أنفسنا مطلقا فى البحر الواسع ، فالمنظر كان غريبا الى أقصى حد عندما ننظر اليـه من القارب المطاطى ، كانت جذوع أشجار البلزا تختفى وراء أية موجة مهما كانت صغيرة وأحيانا يختفى الطوف بالكامل عن الرؤية ، وفى لحظة يبرز فقط سـطح القمرة ، وفى اللحظة التاليـة يرتفع الطوف فوق الأمواج ، وعندئذ يبدو على سطحه رجال ذوو لحى ، أجسامهم سمراء من الشمس ، ويبدون كالمتوحشين البدائيين ،

ثم لا يلبث أن يختفي الطوف مرة أخرى خلف جبل من الماء •

وهذا شيء سيىء بما فيه الكفاية • والواقع اننا دهشنا بشدة لكون هذا الطوف الغريب قد استطاع الابحار بنا كل هذه المسافة •

وأخذنا نجذف مرة أخرى ونضحك على أنفسنا ، وفجأة وجدنا أنفسنا فى مأزق خطير ، فقد كانت الريح شديدة والبحر هائجا ولكننا لم نلحظ ذلك . وأخذ كون ـ تيكى يسير بسرعة ، وحاولنا الرجوع الى الطوف ، ورحنا نجذف بقوة ، ولكننا لم نتمكن ، فالطوف لايستطيع أن يتوقف لينتظرنا ، ولايستطيع أن يدور الى الخلف ليلتقطنا ، وكان الرجال الذين على الطوف قد طووا الشراع ليقللوا من سرعته ولكن الريح القوية ظلت تضرب القمرة الخيزرانية وتدفع الطوف بعيدا ، وأخذنا نشاهد الطوف وهو يصغر •• ويصغر •• فشعرنا بالوحدة الموحشة ، كنا كمثل أناس في الفضاء الرحيب ، عالمنا فارغ تماما وأزرق .



كون - تيكى يمخر عباب المحيط الهادى

وفجأة رأينـــا شراع الطوف مرة أخرى على البعد ، فرحنا نجذف بكل قوة حتى وصلنا اليه واعتلينـــا الطوف ، ها قد عدنا الى الوطن مرة أخرى ، وجلسنا نستريح داخل القمرة حيث الظل والأمان ، وشعرنا بالمتعة ونحن نشم رائحة الخيزران وأشجار جوز الهند التى نمت فى حديقتنا الصغيرة !

كنا نشعر بالسعادة داخـل قمرتنا الصغيرة ، كان طولها ١٤ قدما وعرضها ٨ أقدام وسقفها منخفض جدا بحيث لا نستطيع أن نفرد قاماتنا تحته ، ومع ذلك كنا نشعر بالأمان داخـــل القمرة ، وننسى الأمواج ، فالبحر من داخل القمرة يبدو كما لو كان على بعد أميال خلافا للوضع فى القارب المطاطى ٠

أحيانا كنا ننزل فى القارب المطاطى وننظر الى أنفسنا فى الليل ، البحر حولنـــا أسود ، والنجوم تلمع فى السماء وينعكس نورها الخافت على صفحة الماء ، كان عالمنا بسيطة جدا ، مجرد نجوم فى الظلام ، ونحن نحيا ، ونشعر بالسعادة لكوننا أحياء ، وكنـــا

نفكر فى الشعوب القديمه ، لقد كانت حياتهم مليئه بالحركة والنشاط ، ربما أكثر من حياتنا فى كثير من المجالات ، وكان كون ــ تيكى يعلو فى الظــلام مع الأمواج ، ثم يهبط ويختفى مرة أخرى •

اخذنا نشاهد طوفنا الصغير ، ونفكر فى الرحلات الأولى عبر المحيط الهادى ، لقد كانت الشعوب القديمة تبحر على عدد كبير من مثل هذا الطوف ، نستطيع أن نتصور ذلك ، أطوافهــم تنتشر فى البحر ، آلاف من الرجال على ظهور هذه الأطواف ، لقد عبر كون ــ تيكى ورجاله البحر بهذه الطريقة ، كان ذلك منذ مئـــات مضت من السنين •

ثم عدنا الى الطوف ، وجلســنا حول المصباح الذى يضاء بالزيت فوق سطح الطوف ورحنا نتحدث ، تحدثنا عن بحارة بيرو ، لقد كانت لهــم نفس هذه التجارب منذ ألف وخمسمائة عام ، وكان المصــباح يسقط خيالنا على الشراع ، فتبدو خيالات رجال ذوى ذقون طويلة ، وفكرنا فى الرجـــال البيض الأوائل

الذين جاءوا من المكسيك الى أمريــكا الوسطى ثم الى بيرو فى أمريكا الجنوبيـــة • هذه الحضارة الغريبة اختفت فجأة من بيرو وبعد ذلك ظهرت فجأة كذلك فى جزر المحيط الهادى المنعزلة وها نحن الآن نتقدم الى نفس هذه الجزر •

فمن هم هؤلاء الرحــالة الأول (١) ؟ هل عبروا المحيط الاطلنطى ؟ هل حملتهم تيارات الاطلنطى من جزر الكنارى الى المكسيك ؟ انها رحلة أقصر من رحلتنا بكثير •• ان الكثيرين يعتقدون ان حضــارات الهنود الحمر المبكرة جاءت من الشرق ، ولكنها لم تأت جميعا فى نفس الوقت ، كانت جماعات من الناس تعبر البحر

---

(١) يرى ثور هايردال أن هؤلاء الرجال البيض الذين ظهروا فى المكسيك ربما كانوا قد قدموا اليها من مصر نظرا للتشابه الكبير بين حضارة المكسيك القديمة وحضارة مصر القــديمة ، وقد قام هايردال برحلة على سفينة البردى « رع » لاثبات امكان ذلك واذا صحت نظرية هايردال فان سكان جزر المحيط الهادى يكونون من أصل مصرى قديم ! ـــ المترجم •

فى أوقات مختلفة ، ومعظم الهنـود الحمر الأمريكيين جاءوا من آسيا ، كانوا يعبرون البحر منذ ٢٠ ألف عام؟

ومن المحتمل ان تكون تيارات المحيط الاطلنطى قد حملت الهنـود الحمر الأول الى أمريكا الوسـطى وأمريكا الجنوبية ، لأن الهنود الحمر اسـتقروا فى الصحارى والغابات وتيارات الاطلنطى تأتى الى هذه المناطق ، ونفس الشىء حدث بالنسـبة لجزر البحر الجنوبى ، وجزيرة « ايستر » هى أقرب الجزر الى بيرو ، وهى جزيرة حارة جافة ، وأبعـد الجزر عن آسيا ، ولكن حضارتها كانت الأسبق الى الظهور .

لقد وصلنـا الآن الى الاقليـم البولنيزى من من المحيط ، وأصبحت جزيرة « ايستر » بعيدة الى الجنوب .. ولم تكن على خريطة خط سير رحلتنا ولم نكن ننوى الذهاب الى هنـاك ، ولكننا أخذنا نتذكر القصص الغريبة التى تقال عن جزيرة « ايستر » . هذه القصص تبدو حقيقية تماما لنا الآن .

توجد فى جزيرة ايستر تماثيل حجرية ضخمة

قائمة على قواعدها ، لقد كانت هناك عندما اكتشف الأوربيون الجزيرة فى عام ١٧٢٢ ، بل وقبل مقدم الأوربيين بمئات السنين ، هذه التماثيل هى احدى ألغاز الازمنة القديمة ، انها منحوتة على شكل رجال ، منحوتة نحتا جميلا ، وبعضها يبلغ ارتفاعه ارتفاع بيت من أربعة أدوار ، فكيف استطاع هؤلاء الرجال الأول أن ينحتوا هذه التماثيل الجميلة ؟ وكيف استطاعوا أن يحركوا هذه الكتل الضخمة من الاحجار ؟ وفى بعض الأحيان كانوا يضعون كتلة ضخمة من الحجر فوق رأس التمثال ، فكيف استطاعوا ان يفعلوا ذلك ؟ ان المهندسين المحدثين لديهم آلات ، ولكن هؤلاء الرجال الأول لم تكن لديهم آلات تصلح لمثل ذلك ..

كانت مثل هذه المشاكل تشغلنا كثيرا ، وكنا نتحدث عنها كثيرا .

ان جزيرة ايستر عبارة عن قمة بركان قديم ، فمنذ أمد طويل كانت الجزيرة جبلا من النار ، ثم

خمدت النار وتخلفت مكانهـــا حفرة عميقة كبيرة على رأس الجبل البركاني ، هذه الحفرة توجد في منتصف جزيرة ايســتر ، وكان الرجـــال الأول يعثرون على كتلهم الحجرية وينحتونهـا داخل هذه الحفرة كانت فوهة البركان الخامد هي معملهم ، ولايزال هذا المعمل موجودا الى اليوم ، ومنذ مئات السنين توقف هؤلاء الصناع القدامى عن عملهم فجأة ، فقد وصــل أناس آخرون الى الجزيرة وطردوهم من هناك أو كما تقول القصة تم قتل جميع الرجال ، ولكن معملهم ظل قائما كما هو بالضبط ، ولاتزال الفئوس الحجرية التي كان يستخدمها هؤلاء الصناع الأول في مكانها لم تمس !

هذه الأدوات الحجرية تدل على أن هؤلاء الناس المتحضرين لم يعرفوا استخدام الحديد ، وكذلك كان رجال كون تيكي لايعرفون الحديد ، وعندما طردوا من بيرو تركوا وراءهم تماثيل حجرية في جبال الانديز ، هذه التماثيل تشبه تماما التماثيل الموجودة في جزيرة ايستر ، ففي المكانين كان هذا الجنس الأبيض القديم يقطع كتلا ضــخمة من الأحجار يبلغ طولها ثلاثين أو

أربعين قدما ، كانوا يقطعونها من الجبل باستخدام الفئوس الحجرية القوية . كانت كل كتلة تزن عدة أطنان ، وكانوا يحركونها عدة أميـال فوق الأرض الخشنة ، ثم ينحتون هذه التماثيل الهائلة للرجال فى أماكن مختلفة ، وأحيانا يضعون عدة تماثيـل منهـا متلاصقة فتكون فيما بينها جدرانا غريبة الشكل .

ولا تزال فى فوهة البركان القـديم تماثيـل كثيرة من هذا النوع لم يتم العمل فيها ، أكبرها كان العمل قد أوشـك فيـه على التمام ، طوله ٦٦ قدما أى ما يعادل ارتفاع منزل من ثمانية طوابق .

هذه التماثيل التى لم تتم تبين المراحل المختلفة للعمل ، فكل تمثال كان ينحت من كتلة حجرية واحدة. توضـع الكتلة على الأرض ويعتليها عدد صـغير من الصناع يأخذون فى نحت التمثال ببطء .. ومعظم التماثيل لرجال يستلقون على ظهورهم ، أذرعتهم مثنية وكفوفهم على بطونهم ، وكان الصـناع يكملون عمل

التمثال بكل تفاصيله ثم تنقل التماثيل من المعمل وتؤخذ لتقام فى مختلف جهات الجزيرة .

كثير من هذه التماثيل كان يؤخذ الى مسافة عدة أميال ، فكيف كانوا يحركونها ؟ هذا لغز ، ولكن قد يكون فى مقدورنا أن نعرف سره ، ربما كانت تحرك بنفس الطريقة التى علمت انهم كانوا يحركون بها التماثيل فى جزر الماركويز .

كان عدد كبير من الرجال يشتركون فى تحريك الحجر ، وربما يشترك ألف رجل فى اخراج التمثال من الحفرة العميقة ، ثم يقوم خمسمائة رجل بجره عبر الجزيرة مستخدمين حبالا قوية يصنعونها من ألياف النباتات ويربطون بها التمثال ربطا محكما ، ثم يضعون جذوعا مبتلة بالماء على الأرض ، ويجرون التمثال على هذه الجذوع .

وعند المكان الذى يريدون اقامة التمثال فيه كانوا يبنون جسرا من الصخور والرمال له منحدر طويل ينتهى الى مستوى سطح الأرض ، وقمته من الناحية

الأخرى عالية بما فيه الكفاية تشـــبه حائطا شديد الانحدار ، والى خلف هذا الحائط توجد حفرة ، وكان الرجال يجرون التمثـــال ببطء على المنحدر المتدرج بحيث تكون رجلاه الى الأمام ، وعندما يصل التمثال الى القمة تتدلى رجــلاه فوق الحافة وينزل التمثـــال الحجـرى على الحائط الشديد الانحـدار الى الحفـرة العمودية التى تصل الى مستوى الأرض ، وبذلك يقف التمثال معتدلا على قدميه ، ثم يحضر الرجال كتلة من الحجر الاحمر ويجرونها بنفس الطريقـــــة الى مكان الحفرة ويثبتونهـــا فوق رأس التمثال : وبعد ذلك يزيلون الجسر الترابى وينظفون المكان (١) .

ولاتزال هنـــاك بعض أجزاء من هذه الجسور الترابية فى جزيرة ايستر تنتظر التماثيـــل التى لم يقدر لها الانتهاء .

---

(١) لاحظ أن هذه هى نفس الطريقة التى كان يستخدمهـــا المصريون القدماء فى إقامة الأعمده الضخمة والتماثيل والمسلات .

(المترجم)

لماذا كان القدماء ينحتون هذه التماثيل ؟ ولماذا كانوا يضعون كتلا من الحجر الأحمر فوق رءوسها ؟

لقد عثر الأوربيون الأوائل الذين ذهبوا الى جزيرة ايستر على بعض الرجال البيض فى هذه الجزيرة ، هؤلاء الرجال كانت لهم لحى طويلة ، وقد أخبروا الأوربيين عن أجدادهم · فالوا ان بعض هؤلاء الأجداد كانوا بيضا وبعضهم سمرا وقد جاء الرجال البيض أولا من جهة الشرق فى سفن كبيرة ، وكان ذلك حوالى عام ٤٠٠ أو ٥٠٠ بعد الميلاد ، ثم جاء الرجال السمر بعد ذلك من أماكن أخرى فى بولينيزيا ، وقد وصلوا فى تاريخ متأخر جدا ·

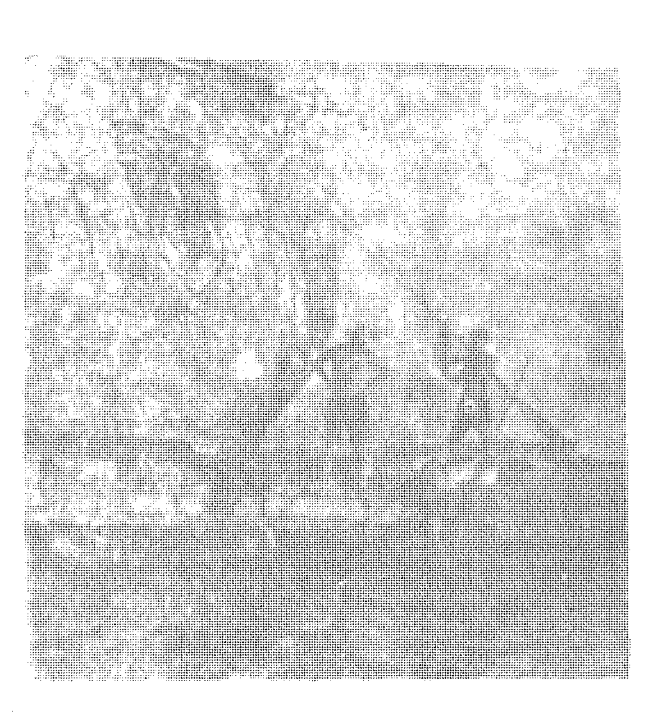
كان البيض يجعلون آذانهم طويلة ، كانوا يعلقون أثقالا فى أسفل آذانهم تجعلها تمتد الى أكتافهم ، ولذلك سمى هؤلاء البيض ب « ذوى الآذان الطويلة » ، أما الرجال السمر فقد أسموا « ذوى الآذان القصيرة » · وعندما جاء ذوو الآذان القصيرة الى الجزيرة قتلوا ذوى الآذان الطويلة ·

وكل التماثيل الحجرية فى جزيرة ايستر لها آذان طويلة ، فهى تمثل هذا الجنس الأبيض الغريب الذى سكن الجزيرة يوما ما ، وهؤلاء الرجال البيض هم الذين نحتوا هذه التماثيل ٠

ويقول الانكا ان الملك الشمس كون ـ تيكى كان يحكم جنسا أبيض فى بيرو ، هذا الجنس كانت له أيضا لحى طويلة وآذان كبيرة ، وقد أقام تماثيل فى جبال الانديز تشبه تماما تلك التى اقيمت فى جزيرة ايستر ٠ ثم قتلوا أو طردوا من بيرو ٠

اذن لدينا حقيقتان : الأولى ان رجال كون ـ تيكى البيض ذوى الآذان الطويلة اختفوا من بيرو ، وكانوا يعرفون فن نحت التماثيل الضخمة ٠ والثانية ان الاله كون تيكى جاء الى جزيرة ايستر من الشرق ومعه رجال بيض لهم آذان طويلة ويعرفون نفس الفن تماما ٠

وكذلك نجد فى كل الجزر البولينيزية رجالا لهم شعر أحمر ، وهم فخورون بهذا الشعر ، والناس الآخرون يحسدونهم على ذلك وأحيانا يصبغون



كان وجه كون ـ تيكي مرسوما على الشراع

شعورهم باللون الأحمر ليتشبهوا بهم . ولاشك أن الأحجار الحمراء فوق رءوس التماثيل تمثل هذا الشعر الأحمر .

وقد تعودنا أن نجلس على سطح الطوف ونتحدث عن ذلك التاريخ الغريب لجزيرة ايستر !

* * *

لم نعد نهاب البحر ، فقد فهمناه ، وفهمنا الطوف ، وحتى أسماك القرش لم نعد نخشاها ولم نعد نحاول أن نقتلها ، بل لم نكن نبتعد عنها وأحيانا كنا نلعب مع سمكة القرش ، كنا نربط حبلا حول سمكة طائرة ميتة ونجر السمكة فوق سطح الماء ، فيعوم القرش نحوها ويفتح فكيه ليبتلعها فنجذبها بعيدا بسرعة .

فيقترب القرش ويفتح فكيه ثانية فنجذب السمكة بعيدا مرة أخرى ، وعندئذ يقترب القرش من الطوف حتى يكاد يلاصقه ، فكنا نرفع السمكة من الماء ونعلقها فى الهواء ، فيقفز القرش ويلتقطها .



صيد وفير من أعدائنا • اسماك القرش

كان ذلك يعطينا الفرصة لتأمل أسنان القرش ان له اربعة أو خمسة صفوف من الأسنان الحادة والواقع اننـــا لم نفقد أبدا احترامنـا لفكى القرش وأسنانه !

لم يكن مسموحا لأى أحد بالسباحه بعيدا عن الطوف ، ولكن ذات يوم وكان البحر هادئا جـدا قفز كنوت الى الماء وسبح لمســافة بعيدة ثم استدار وأخذ يسبح عائدا فى اتجاه الطوف وفجأة شاهد ظلا كبيرا تحت الماء يتعقبه ٠

وصرخنا نحن محذرين :

« قرش ! » ٠٠ أخذ كنوت يسبح بأقصى قوة نحـو الطوف ولكن الظل كان يتقـدم بأسرع منه ، ووصل كنوت والظل الى الطوف فى نفس الوقت ، وصعد كنوت الى ســطح الطوف وفي نفس اللحظـه مر قرش ضخم بجواره وتوقف عند الطوف فألقينا فى فمه المفتوح برأس درفيل كمكافأة له ٠

قائلين :

« شكرا لك لعدم العض !! » .

وحاسة الشم لدى أسماك القرش قوية جدا ، وقد استطعنا اثبات ذلك ، فقد كنا نجلس على حافه الطوف وأرجلنا مدلاة فى الماء وكانت القروش تسبح ببطء نحونا ثم تستدير وتذهب بعيدا . ولكنها لم تكن تبتعد اذا كان هناك دم فى الماء ، فقد تعودنا أن ننظف أسماكنا فى البحر مما يجعل الماء حول الطوف ملوثا بكمية من الدماء ، وكانت أسماك القرش تشم رائحة الدم على الفور ، حتى اذا كانت تسبح بعيدا جدا ، فعندئذ تستدير فورا وتسبح نحو الطوف وسرعان ما يتجمع حول الطوف عدد كبير من أسماك القرش وذات يوم ألقينا بأجزاء من قرش ميت فى البحر وأخذت أسماك القرش تندفع حولنا بجنون ، وعندئذ أنزلنا أرجلنا فى الماء فاندفعت نحوها القروش بسرعة هائلة ولكننا رفعنا أرجلنا من الماء سريعا فأخذت أسماك القرش الجائعة تعض حوافى الطوف .

وحاولنا ان نصيد أسماك القرش بامساكها من ذيولها ، ولم يكن ذلك سهلا ، ولكننا استمتعنا بهذه الرياضة وبرعنا فيها ، وقد استطعنا امساك عدة أسماك قرش من ذيولها وسحبناها الى سطح الطوف ٠

وكان ذلك يثير الببغاء دائما فيخرج الطائر من القمرة ويصعد الى سطحها حيث يجلس فى مكان آمن ويأخذ فى هز رأسه واصدار أصوات غريبة وهو فى غاية الاضطراب ٠

كان الببغاء يتصرف كبحار جيد ، وكان دائما فى مزاج رائق ، وكنا نعد الببغاء واحدا منا ، فنعتبر أن هناك سبعة على الطوف : ستة رجال وببغاء أخضر ، ولم نكن نعد السرطان جوهانس واحدا منا ، وفى الليل كان الببغاء يزحف داخلا الى قفصه المعلق تحت سطح القمرة ، وأثناء النهار كان الببغاء يتمشى فوق سطح الطوف أو يتعلق بالحبال ويقوم بتدريبات غريبة وأحيانا تكون الحبال مرخاة فنشدها وكان ذلك يفرح الببغاء فيخرج صوتا أجش « هو ٠٠ هو ٠٠ هو ٠٠

ها .. ها .. ها .. » فنضـــحك ، وعندئذ يضحك الببغاء .

وفى البداية كان الببغاء خصيما لعاملى اللاسلكى، فقد كان تورستين وكنوت يجلسان فى ركن اللاسلكى ويستمعان لرسائل من هواة لاسلكى آخرين ، وذات يوم بينما هما يستمعان لعامل لاسلكى فى أوكلاهوما ، صمت جهازهما فجأة ولم يستطيعا سماع شيء ، وتبين ان الببغـــاء قضـم سلك اللاسلكى ! فأخذ تورستين وكنوت يشتمان الببغاء ويسمعانه ما يكره ، وبعد أيام أكل الببغاء جزءا من سلك اللاسلكى وأصبح مريضا جدا ، فشعر تورستين وكنوت بالأسف الشديد على الببغاء وأصبحا صديقين له ، وبادلهما الببغاء الصداقة وأصبح ينام دائما فى ركن اللاسلكى ، بل وأصـــبح يقلد صوت تورستين .

ظللنـــا نستمتع بمزاج الببغاء الرائق وألوانه البهيجة لمدة شهرين ، وذات يوم اكتسحت موجة كبيرة سطح الطوف وحملت معها الببغاء الى البحر ولم نكتشف

ذلك الا بعد بعض الوقت ، وعندئذ كان الوقت قد فات، فلم نستطيع أن ندور بالطـــوف أو نوقفـه للبحث عن البيغاء .

جعلنا فقد البيغاء نشعر بالحزن الشديد وقلنا في أنفسنـا « نفس الشيء قد يحدث لنا واذا سقطنـا في البحر سوف تضـــيع » وبدأنا نأخذ مزيدا من الحذر .

افتقد عاملا اللاسلكي غيـــاب الببغاء كثيرا ، والواقع ان مهمتهما كانت صعبة منذ أول يوم ، فعندما كنا في تيار همبولت أفســدت ميـــاه البحر معدات اللاسلكي ، وأصلحاه بصعوبة ، وغطيا ركن اللاسلكي جيدا لحماية المعدات ، ولكنهما واجها صعوبة أخرى وهي ان السلك الهوائي ليس طويلا بما فيه الكفاية ، وبعد ذلك جاءت المتاعب مع الببغاء ، وفي احدى المراحل لم يتلقيا أي رسالة خلال أسبوعين .

وذات ليلة بعث تورستين برســالة لاسلكية ، والتقطها أحد هواة اللاسلكي في لوس انجيلوس .

سال الرجل تورستين :

ـ من أنت ؟ أين توجد ؟

اجاب تورستين :

ـ أنا أعيش داخل قمرة من الخيزران على طوف في المحيط الهادى ٠

وسمعنا أصواتا غريبة من الجانب الآخر ، ومضو تورستين فأبلغ الرجـل بأمر رحلتنا فدهش الرجـل بشدة ثم أصبح صديقا ودودا لنا ٠

وقال :

ـ اسمى هال ، واسم زوجتى « آنا » ، زوجتي ولدت في السويد ، وستبعث رسائل الى أسركم تطمئنه عليكم ، سوف نخبر أقاربكم بأنكم على قيد الحياة وفي حالة طيبة ٠

وقلت لنفسي :

« يا له من أمر غريب ٠٠ اننا لم نلتق بهال هذا

انه يقيم بعيدا في مدينـــة مزدحمة ومع ذلك فهـــو الشخص الوحيد في العالم الذى يعرف موقعنا .

كان اسم هال الحقيقي هارولد كمبل ، وفي كل ليلة كان هال وصديقه فرانك كويفاس يجلسان ليلتقطا الاشارات الصادرة من الطوف ويرسلا الينا الرسائل . وفيما بعد تمكن كنوت وتورستين من الحديث الى هواة لاسلكي آخرين ، وعقدا كثيرا من الصداقات باللاسلكي. وكانا يتحدثان اليهم كل ليلة تقريبا .

ثم حدثت بعض المتاعب ، اذ أفسدت مياه البحر المالحة جهاز اللاسلكي وتوقفت المحطة عن الارسال عدة أيام ، وحاول كنوت وتورستين كل جهدهما لاصـــلاح العطب ، كانا يعملان ليلا ونهارا بلا جدوى ، ولا شك ان اصدقاءنا باللاسلكي ظنوا ان الطوف قد غرق واننا أصبحنا في عداد الأموات ، وذات ليلة عادت المحطة الى بث رسائلها من جديد ، وعلى الفور أجابنا عدة مئات من هواة اللاسلكي في الولايات المتحدة .

وفي ساعة متأخرة من مســاء احدى الليالى كان

كنوت يعمل فى ركن اللاسلكى ، وكنت نائما الى جواره فوجدته يهز رجلى بشدة ٠

ويقــول :

اننى أتحدث الى رجل نرويجى ، انه يقيم بالقرب من أوسلو ، واسمه كريستيان أموندسن ٠

ودهشت ، ان جهازنا اللاسلكى ضعيف جـدا وأوسلو على الطرف المقابل من الكرة الأرضية وتذكرنا ان اليوم التالى هو عيد ميلاد مليكنا هاكون الذى يبلغ الخامسة والسبعين من العمر ، ولذا فقد أرسـلنا له تهنئة عيد الميلاد من الطوف عبر كريستيان ٠ وفى الليلة التالية تلقينا رسالة من كريستيان يقول فيها انه أبلغ تهنئتنا الى الملك ، وان « الملك يتمنى لكم حظا طيبا ونجاحا لرحلتكم » ! ٠٠

وفى احدى المرات استخدمنا اللاسلكى لحــل مشكلة تواجهنا ٠ كانت معنا كاميراتان فى الطوف ، وقررنا أن نحمض الصور أثناء الرحلة حتى اذا فسد بعضها أمكننا أن نلتقط صورا جديدة ، وكان اريك

هو الذى يتولى عملية التحميض ، وقام بأول محاولة لتحميض الأفلام بعد زيارة الحوت ، وذات مساء قام بتحميض فيلمين ولكن الصور لم يبد فيها غير بعض الخطوط والنقط الغريبة ، لقد فسد الفيلمان

وبعثنا برسالة لاسلكية نطلب النصيحة التقطها أحد هواة اللاسلكى فى هوليود ووعدنا بأن يسأل ويستقصى السبب ، واتصل بنا فيما بعد ٠

وأبلغنا بسبب العطب وقال :

" ربما كان الماء الذى تستخدمونه فى التحميص حارا أكثر من اللازم ٠٠ ان حرارة الماء لا ينبغى أن تزيد عن ٦٠ درجة فهرنهايت ٠

فشكرناه ، وقسنا حرارة ماء البحر فوجدناها حوالى ٨٠ درجة ! وكان هرمان يعرف الكثير عن الماء ٠

فنظرت اليه وقلت ضاحكا :

هيرمان ٠ اخفض حرارة الماء الى ٦٠ درجة قلت ذلك على سبيل المزاح ، ولكن هيرمان أخذ بعض

الماء وأجرى عليه بعض التجارب الغريبة وفجأة ظهر ثلج فوق الماء ·

وقام آريك بتحميض فيلم آخر باستخدام الماء الفاتر وجاءت النتيجة ممتازة ، فقد خرجت الصـــور واضحة تماما !

★ ★ ★

خلال النصف الأول من الرحلة كانت الريح تهب دائما تقريبا من اتجاه الجنوب الشرقى ، وبالقرب من خط الاستواء تحولت الريح الى شرقية ، وقد أبحرنا على خط الاستواء يوم ١٠ يونيو ، وبعد ذلك تغير اتجاه الريح مرة أخرى ، وبدأت تهب من الشمال الشرقى · وفى بعض الأحيان كانت الريح والبحر يثبتان عدة أيام ، فلا تكون هناك حاجة لاستخدام الدفة للتوجيه ، وفى مثل هذه الحالة كنا نربط المجداف فوق الطوف ، ويمضى كون ـ تيكى بمفرده ، ويصبح عمل الربان أن يجلس بالقرب من باب القمرة ويتطلع الى النجوم ، وأحيانا كانت النجوم تغير مواقعها فى السماء فيكون

ذلك علامة على أن الريح قـــد غيرت اتجاهها ، أو أن المجداف قد تحـرك فى المـاء ، وعندئذ يقوم الربان ويستكشف الريح ثم يفحص وضع المجداف .

ومن السهل الاسترشاد بالنجوم فى الليل .. وقـد كان البولينيزيون القـدامى يبحرون مسترشدين بالشمس أثناء النهار ، ثم يبحرون مسترشدين بالنجوم فى الليل ، وكانوا يعرفون الكثير عن النجوم والكواكب ، وأن الارض كرويه ، وكانوا يعرفون خمســة كواكب ويسمونها « النجوم السيارة » ويعرفون الفـــرق بين النجوم والكواكب ، وكان لديهم حوالى مائتين من أسماء النجوم ، وكان البحار البولينيزى الجيد يعرف مواقع هذه النجوم فى السماء ، كما يعرف مواقعها فى مختلف أوقات الليل ، ويعرف أيضا مواقعها فى مختلف الليالى من العام .

من أين حصـــل سكان جزر المحيط الهـادى على معرفتهم بالنجوم والكواكب ؟ ان لديهم تقويما جيدا للغـــاية ، المواعيد فيـــه مضبوطة ، من المؤكد أن البولينيزيين لم يحصلوا عليه من الشعوب السوداء أو

الصفراء ، وانما حصلوا على تقويمهم من هذا الجنس الأبيض المبكر ، فهؤلاء الرجال البيض الغرباء كانوا على دراية بالنجوم والكواكب ووضعوا نوعا من التقويم ، وعلموا الازتك والمايا والانكا معرفتهم بالنجوم والكواكب(١) ٠



في يوم ٢ يوليو حدثت أشياء غريبة ٠ كان الجو هادئا ، وفجأة هبت ريح قوية وهاج البحر ، وأخذ الطوف يندفع بسرعة أكبر ، كان أربعة رجال نائمين في القمرة ، وتورستين يعمل على جهاز اللاسلكي ، وأنا جالس للقيادة وفي حوالى الساعة الثانية عشرة رأيت بعض الأمواج العالية قادمة من وراء الطوف ، كانت هائلة الحجم على نحو غير مألوف ٠

---

(١) هذا دليل آخر على احتمال أن يكون هؤلاء الرجال البيض قد جاءوا من مصر طبقا لأبحاث تورهايردال الأخرى التي أثبتت امكان وصول المصريين القدماء الى المكسيك ـ (المترجم) ٠

وفكرت قائلا :

« لا شك انها موجة هائلة تتكسر على صخور تحت سطح البحر » ، وناديت محذرا رفاقى الآخرين وبدأت فى تحويل مجرى الطوف .

اندفعت الأمواج الهائلة نحونا ، فأطاحت بمؤخرة الطوف في الهواء ، وارتفع كون ـ تيكى فوق جبل الماء بينما كانت الأمواج الغاضبة تغلى على جانبى الطوف . والبحر يمور من تحتنا ، ثم جاءت أمواج عظيمة أخرى وطوحت بنا فى الهواء مرة أخرى ثم ارتطم الطوف فى البحر ، حاولت أن أتفادى الموج ولكننى كنت أبطأ منه ، فغاص الطوف تحت سطح البحر ، ولم أستطع أن أفعل شيئا فتشبثت بظهر القمرة .

وقلت فى نفسى :

« هذه هى النهاية ! سوف يغرق الطوف ! » ولكن فى لحظة واحدة قفز الطوف الى السطح مرة أخرى ، وبعد ذلك هدأ البحر ، وتجاوزتنا الموجات



هرمان يقيس قوة الرياح

المتكسرة الثلاث ذات الحجم الهائل بينما امتد وراءنا خط من ثمار جوز الهند الطافية فى الماء .

ضربت الموجة الأخيرة القمرة ، فألقت تورستين على الأرض ، واستيقظ الرجال الآخرون من الضجة ، واندفعت المياه داخل القمرة وأحدثت ثغرة كبيرة فى احدى جدرانها ، ودمرت سلة الغوص ، ولكن فيما عدا ذلك لم تحدث تلفيات أخرى .

من أين جاءت هذه المتكسرات الثلاث ؟ هذا ما لم نستطع أن نجد له اجابة !

بعد ذلك بيومين واجهنا أول عاصفة حقيقية . فقد ظهرت السحب السوداء الكثيفة فى السماء ثم أخذت ريح قوية تهب ، كانت تهب من اتجاهات مختلفة حتى ان القبطان لم يستطع أن يسيطر على الطوف ، فوجهنا مؤخرة الطوف نحو الريح ولكن الريح ظلت تهب ضدنا من مختلف الاتجاهات ، وازدادت السحب سوادا ، واشتد هبوب الريح ، ثم بدأت العاصفة الحقيقية !

اشــتد هيجان البحــر من حولنا وتحــول الى ما يشبه التلال ، فقد بلغ ارتفاع الأمــواج ١٥ قدما وفى بعض الأحيـــان ٢٥ قدما ، اذ كانت الموجـــة تبلغ أحيانا مستوى ارتفاع الصـــارى ، والريح تهب تقريبا من تحت الصارى فتهز الكابينة وتصفر خلال الحبال ..

سددنا الثغرة التى حدثت فى حائط القمرة ، وحمينا جهاز اللاسلكى ، وربطنا كل الأشياء المبعثرة ، وأرخينا الشراع . وظل البحر يزداد سوادا وهياجا ، والرياح الغاضبة المزمجرة تهب من كل اتجاه ، ثـم أخذت السماء تمطر بغزارة والمطر ينهمر فوق رؤوسنا ويجرى على شعرنا ولحانا ، وكان مذاقه كريها جدا . وكنـــا نزحف فوق ســـطح الطوف ونؤدى مختلف الأعمال ، ولم نكن نرتدى ملابس ، وكنا نرتجف من شدة البرد والتعاسة .

ولـكن كون ـ تيـكى تصرف بأروع ما يكون ، وشعرنا بالفخر بطوفنا الذى أخذت العاصفة تنبهنا

الى أدائه الممتاز ، فأخذنا نمتع أنفسنا بمشاهدة طوف البلزا وهـو يطفو كقطعة من الفلين ، فهـو دائما فوق الأمواج ، يكاد يكون طائرا في الهواء ..

وعادة ما تتابع موجتان الواحـدة تلو الأخـرى فورا ، وعندئذ تضرب الأولى مؤخرة الطوف وتندفع المياه فوق القبطان وتضرب الموجة الثانية مقدمة الطوف فتقذف بمؤخرة الطوف في الهـــواء ، ثم لا يلبث أن يتسرب طوفان الماء خلال المساحات التي بين الجذوع .

وعندما يكون البحر هادئا تمضى عادة سبع ثـوان بين كل موجة مرتفعة وأخرى ، ومن المقدر أن حوالى ٢٠٠ طن من الماء تنصب في مؤخرة الطوف كل ٢٤ ساعة ولكننا لا نكاد نلحظ ذلك لأن الماء يتدفق حول رجلى الجالس للقيادة وسرعان ما يختفي ، ولكن في حالة العاصفة العاتية فان أكثر من ١٠ آلاف طن من الماء تنصب فوق ظهر الطوف ويصل ارتفاع الماء الى وسط القبطان فيهتز الطوف للحظة قبل أن تختفي أحمال المياه عبر الجذوع

وقد دامت هذه العاصفة ٢٤ ساعة متواصلة ، ثم هدأت الريح تدريجيا ، وأخذنا نواصل سيرنا نحو الغرب .. !

بعد العاصفة كان السمك فى حالة غضب شديد، كان الماء حول الطوف مليئا باسماك القرش والدرافيل وانواع كثيرة من الاسماك الاخرى وكانت هذه الاسماك تهاجم بعضها بعضا ، وسرعان ما ظهرت برك من الدماء فوق الماء .

وقررنا أن نصطاد بعض الاسماك ، اذ كتبت فى مذكرتى عن ذلك اليوم « ابتلع قرش طوله ستة أقدام خطافنا وجذبناه الى سطح الطوف ، ثم ألقينا الخطاف فى البحر مرة أخرى فابتلعه على الفور قرش طوله ثمانية أقدام ، وجذبناه أيضا الى السطح ، ثم اصطدنا قرشا آخر طوله ستة أقدام وجذبناه الى حافة الطوف ولكنه تخلص من الخطاف وغاص فى البحر ، وكذلك فقدنا قرشا آخر ، ثم اصطدنا قرشا طوله سبعة أقدام وكانت عملية الصيد محفوفة بالمخاطر ، فقد كانت أرجلنا تنزلق على الجذوع المبتلة ، والقروش تحاول أن

أن تعضنا ، ولذا كنا نجذبها من الذيل ونكومها فوق بعضها البعض ، وبعـــد ذلك اصـــطدنا مزيدا من القروش » .

أصبح الطوف مليئا بأســـماك القرش ، كانت تعترض طريقنا ، وتضرب بذيولها فوق سطح الطوف وتحاول أن تعض ، كانت تنظر الينا بعيونهـا الخضراء وكنا ننظر اليها أيضـا ، وأحيانا نجد قرشا يرقد هادئا، فننظر اليه بحذر ونقول : هل أنت ميت حقـــا ؟ أم تتظاهر بذلك ولا تزال حيا ؟

وفى اليوم التالى اصطدنا عدة قروش أخرى ، وفجأة لاحظنا شيئا ، ان دماء القروش تسيل من الطوف وتجذب مزيدا من القروش ، فقررنا فورا أن نلقـى بكل القروش التى اصطدناها فى البحـــر ، وغسلنا سطح الطوف من الدماء التى تلوثه .

وبتنا ليلتنا نحلم بالفكوك المفترســـة والدماء ، وسمعت أحد الرجال يتحدث الى نفسه وهو نائم فيقول: أريد أن أستريح .. أريد أن أنام فى جزيرة صـغيرة

بها عشب أخضر .. لقد ضقت ذرعا بالأسماك الباردة والبحر الهائج !

هدأ الجو مرة أخرى ، ولكننا لم نعد نثق فى الجو ، فأحيانا تكون الريح قوية ، وأحيانا ينهمر المطر بشدة ، وكنا نرحب بالمطر ، فنقوم بجمعه من فوق سطح القمرة ثم نخلع ملابسنا ونقف على سطح الطوف ونغتسل بمياه المطر ، وكان ذلك ينعشنا كثيرا .



فى يوم ٢١ يوليو ماتت الريح فجأة ، وتوقف الهواء وصار شديد السخونة . قلنا « لابد أن عاصفة أخرى فى طريقها الينا » . وكنا على حـــق اذ سرعان ما أخذت الريح تهب بشدة من الجنوب وظهرت السحب السوداء فى السماء مرة أخرى .

وفجأة أطار الهواء حقيبة النوم الخاصة بتورستين وكان هيرمان يقف عند حافة الطوف ، فحاول أن يمسك بالحقيبة الطائرة ، ولكن توازنه اختل وسقط فى البحر كانت الأمواج تصدر زمجرة عالية ، ولكنى ســـمعت

صيحة خافته تطلب النجدة ، وسمعها تورستين أيضا، وشاهدنا رأس هيرمان وذراعه الملوحة فوق سطح الماء كان يناضل للعودة الى الطوف ، وهيرمان سباح ماهر للغاية ، ولكنه كان فى خطـــر بالغ ، وشـــعرت أنا وتورستين بقشعريرة الخوف ، وصحنا بأعلى صوتنا : « رجل فى البحر ! » ، ولم يكن الآخرون قد سمعوا صيحة هيرمان ، ولكن سرعان ما جاءوا مسرعين عـلى صوتنا ..

أمسك تورستين بحبل القارب المطاطي وحاول القاءه الى هيرمان ولكن الحبل لم يذهب بعيدا والتصق الى حافة الطوف . ألقى كنوت واريك بسترة النجاة الى هرمان وكانت مربوطة بحبل طويل ، ولكن الريح رفعت سترة النجاة مرة أخرى الى الطوف ، وأخذنا نلقى بسترة النجاة عدة مرات ولكن الريح كان يدفعها عائدة فى كل مرة ، وأخذت المسافة تزداد بين هرمان والطوف .

وفجأة قفز كنوت الى البحر وهو يمسك بسترة النجاة فى احدى يديه ، وأخذ هيرمان وكنوت يسبحان

فى اتجاه بعضيهما ، وسرعان ما التقيا وصار كل منهما يمسك بسترة النجاة ، وأخذنا نحن نجذب حبل سترة النجاة نحو الطوف ، وعيوننا مركزة على ظل أســود يسبح خلف الرجلين ، هذا الوحش الغريب كان يدفع حقيبة النوم الخاص بتورستين أمامه ، وأخذنا نشــد الحبل أقوى وأسرع وأخيرا وصل الرجلان الى الطوف وجذبناهما سالمين الى السطح ، وبعد ثانية واحــدة اختفت حقيبة النوم تحت البحر ، لقد كتبت لهيرمان وكنوت النجاة بضربة حظ فائقة ، وكان تورســتين محظوظا أيضا ، اذ قال « اننى سعيد لأنى لم أكــن نائما داخل حقيبة النوم ! »

شعرنا جميعا بالارتياح ، فقد عدنا ستة رجال على سطح الطوف ، وأخذنا نثنى على كنوت ونقــول له كثيرا من الاشياء الجميلة .

فى هذه الاثناء اسودت السماء فوق رءوسنا وزادت قوة الريح ، وقبل حلول الليل كانت العاصفة الجديدة قد بدأت ، وكانت عاصفة بالغة الشــدة واستمرت خمسة أيام بلا انقطاع ، وفى اليوم الخامس

أنقشعت السحب السوداء الشريرة وبدأت السماء تعود الى زرقتها مرة أخرى • وقمنا بفحص الطوف ، فوجدنا ان العاصفة كسرت مجداف التوجيه ومزقت الشراع كما كانت الألواح المركزية مفككة وكل الحبال التى تحت الماء تالفة ولكننا لم نصب بأذى ، وكذلك المؤن لم تفسد •

وبعد هاتين العاصفتين صار الطوف كون تيكى أضعف ، وابتعدت المسافات بين جذوع البلزا وهذا شيء بالغ الخطورة ، فقلت لزملائى محذرا : « خذوا حذركم حتى لا تنزلق أرجلكم بين اثنين من الجذوع ، ان هذه الجذوع قد تحطم أرجلنا » وسرعان ما ظهر لنا خطر جديد فقد بدأت حبال الصارى تصدر أصواتا غريبة .

قمنا باصلاح دفة التوجيه والشراع كما ثبتنا الألواح المركزية • ولكنها ظلت سائبة بعض الشيء ولم تعد قوتها كما كانت عليه • ولم نستطع فحص الحبال التى تحت الطوف فقد كانت مغطاة بطبقة كثيفة من الاعشاب ولذا فقد حلعنا الارضية الخيزرانية وفحصنا الحبال من أعلى ، فوجدنا ثلاثة منها فقط مقطوعة

وهذا أراحنا كثيرا ، **وقلنا :** « سوف نكون على ما يرام ان الطوف سوف يواصل السير ، ولم تتبق الآن سوى مسافة قصيرة الى الجزر ، وسوف نصل اليها » ..

ولكن كانت هناك مشكلة أخرى : أين تنتهى هذه الرحلة ؟

كان كون تيكى يبحر فى اتجاه الغرب وفكـرت على هذا النحو « ربما سوف نستمر ســـائرين الى أن يرتطم الطوف بصخرة ، ولكن الرحلة لا يجب أن تنتهى عند صخرة ، يجب أن نصل سالمين الى احدى الجزر البولينيزية وهناك كثير من هذه الجزر ، الى الشمال الغربى هناك جزر الماركويز ، انها تبعد عنا بمسافه ٣٠٠ ميل بحرى ، والى الجنوب الغربى هنـــاك جـرر بواموتو ، وهى على نفس البعد منا ، ربما ســـوف نمر بين هاتين المجموعتين من الجزر لأننـــا نبحر فى هذا الاتجـاه .

كانت أقرب جزيرة فى اتجاه الشمال الغربى هى « فاتوهيفا » .. وتذكرت زيارتى لهـــذه الجزيرة ،

كانت هناك جبال وغابة ، وكنت أعيش في كوخ على الشاطيء ، وثمة رجل عجوز يقص على مسامعي حكايات عن الاله نيكي • **وفكرت قائلا** : « لو ذهب كون ـ تيكي الى هناك سوف أقابل كثيرين من الاصدقاء القدامى » !

وشاهدنا بعض طيور الفرقاط (١) في السماء من أين جاءت هذه الطيور ؟ ان طيور الفرقاط لم تأت حتما من أمريكا ، لابد أن موطنها بلد لا يزال أمامنا •

وفي يوم ١٧ يوليو استقبلنا أول زائرين من جزر بولينيزيا•• طائران كبيران من فصيلة الأطيش(٢) جاءا قادمين من ناحية الغرب ، وهبطا الى ارتفاع صارى الطوف ، وأخذا يحومان حول طوفنا عدة مرات ، ثم طويا أجنحتهما واستقرا فوق البحر الى جانبنا • كنا في غاية الاضطراب والسعادة • هذان الطائران رسولان الينا ، لقد جاءا للترحيب بنا الى بولينيزيا •

ظللنا لمدة ثلاثة أيام وأربع ليال نبحر نحو

---

(١) طائر بحرى يسلب طعام الطيور الأخرى •
(٢) طائر بحرى مشهور بالبلاهة •

« فاتوهيفا » ، وبعد ذلك تغير اتجاه الريح ، وأخذت رياح شمالية شرقية قوية تدفعنا فى اتجـــاه جـــزر « تواموتو » جنوبا ·· ان هناك صخورا كثيرة بالقرب من هذه الجزر ، والمنطقة خطرة جدا ، ولم يكن فى امكاننا ان نعتمد على تيارات المحيط اكثر من ذلك ، فهى موجودة فى يوم ، وغير موجودة فى يوم آخر · ومع اقترابنـــا من بولينيزيا ازدادت الريح هـــدوءا والتيارات البحرية ضعفا ، وشعرنا بالقلق ، ولكـــن الريح فى الواقع لم تتوقف تماما فى كل مراحـــل الرحله ، فكنا أحيانا نبحر مسافة قصيرة فقط ، وأقصر مسافة قطعناها فى ٢٤ ساعة هى تسعة أميال بحرية ، أما متوسط مسافة السير اليومى لكل الرحـــلة فهى ٤٢٫٥ ميلا بحريا فى الاربع والعشرين ساعة ·

قلنا :

« الريح لن تتخلى عنا ! » ·· وكنا على صواب ، اذ لم تلبث أن عادت الريح ، واخذت تدفع الطوف نحو هذا الجزء الغريب من العالم ·

وفى كل يوم كانت طيور الفرقاط والاطيش تطير حول الطوف ، وذات مساء تركتنا هذه الطيور فجأة ، واخذت تطير بعيدا نحو الغرب ، كانت تطير الى أعشاشها فى اقرب جزيرة مجاورة ، فحولنا اتجاه الطوف وتبعنا الطيور فى اتجاهها .

وفى اليوم التالى شاهدنا سحابة غريبة على البعد كانت تبدو كسحابة من الدخان وأخذت هذه السحابة ترتفع فى السماء ، **ففكرت قائلا** : « مثل هذه السحابة تكون دليلا على وجود أرض .. والبولنييزيون يعرفون ذلك ! » . فالشمس تسخن الرمال ، والهواء يرتفع ويلاقى الهواء البارد فى الطبقات العليا فتتكون السحابة **وقلت** : « توجد أرض تحت هذه السحابة ! » .

ووجهنا سير الطوف ناحية السـحابة ، وعندما اعتلت الشمس صفحة السماء اختفت السحابة ، ولكن الريح ظلت ثابتة ، وظل كون ـ تيكى يواصل سيره وراحت الطيور تطير حولنا طوال الليل وتصدر ضوضاء كبيرة ، كانت ليلة جميلة ، وارتفع بدرا على صـفحة السماء !

الفصل السابع

جزر البحر الجنوبى

اليوم هو ٣٠ يوليو .. وأوشك الليل على الانتهاء . كل شىء كان يبدو مختلفا على ظهر كون ـ تيكي . القمر يبدو اكثر استدارة وحجما ، واكثر لمعانا ايضا ، وكانت صيحات الطيور تذكرنا بالارض بعد أن قضينا ثلاثة أشهر لا نسمع شيئا سوى ضجيج البحر

فى الساعة السادسة صباحا نزل بنجت من فوق الصارى ، وأيقظ هيرمان ليبدأ نوبته ، ورقد هو لينام بينما تسلق هيرمان الصارى ، وبعد عشر دقائق هبط هيرمان مسرعا من فوق الحبال ، **وهزنى من رجلى قائلا** : « تعالى .. انظر الى جزيرتك الصغيرة ! » .. وكان يبتسم بسعادة .. !

قفزت مسرعا ، وتبعنى بنجت ، وتسلقنا الصارى كانت هناك طيور كثيرة تحوم حولنا ، والى الشرق بدأ ضوء أحمر حافت ينتشر عبر السماء ، وينعكس على صفحة الماء ، وهناك على البعد بدا ظل خفيف فى البحر .. أرض ! جزيرة !

نظرنا الى الجزيرة باعين مفتوحة على اتساعها ، وايقظنا الرجال الثلاثة الآخرين ، فخرجوا الينا ، واخذنا جميعا نتطلع الى الأفق ، ثم جاءتنا نفس الفكرة : هذه الجزيرة فى المكان الخطأ !

ولكن الجزر لا تتحرك بالطبع لابد أن هناك سببا آخر .. نظرنا الى البحر ولاحظنا اتجاه الموج وعندئذ فهمنا السبب ، لقد غير الطوف مجراه اثناء الليل وقلنا لانفسنا ! « لقد فقدنا فرصتنا .. ان الريح تهب فى عكس الاتجاه ، ولن نستطيع الوصول الى الجزيرة الآن ان الريح والامواج تدفعنا بعيدا عن الجزيرة » .

حاولنا أن نغير اتجاه الطوف الى الخلف ولكن التيار كان شديدا ، وأخذ يدفعنا بعيدا عن الجزيرة .

في الساعة السادسة والنصف صباحا ظهـرت الشمس في السماء وعندئذ أمكن لنا أن نرى الجزيرة بوضوح ، كانت ثمة غابة في الجزيرة ، أشجارها كثيفة والشاطىء منخفض وضيق •

ونظر اريك فى خريطته ، وقال :

هذه الجزيرة اسمها « بوكا ـ بوكا » وهي اول الجزر في مجموعة « تواموتو »

التزمنا جميعا الصمت ، ووقفنا نشاهد الجزيرة وقلت فى نفسى : « حسنا على أية حال ‥ ان هـذه الجزيرة تثبت شيئا واحدا ‥ هو أننا كنا نتحرك فى الاتجاه الصحيح خلال الشهور الثلاثة الماضية ‥ اننا لم نضع فى عرض المحيط ‥ لم ندر فى حلقـات مفرغة » ‥ لقد وصلنا الى بولينيزيا ، وهذا فى حد ذاته جعلنا سعداء للغاية ، ولكننا شعرنا بخيبة الأمل لعدم امكاننا الوصول الى الجزيرة ، انها لا تبعد عنـا اكثر من أميال قليلة ، ولكننا نتجاوزها بلا رجعة •

أخذ دخان أسود كثيف يتصاعد من الجزيرة لقد

رآنا سكانها ، وهاهم يشعلون النار ليدعوننا الى جزيرتهم ، ولم نلبث أن شممنا رائحة ضعيفة للخشب المحترق ، وهذا ذكرني بالنار في « فاتوهيفا » وبعد نصف ساعة أخرى شممنا رائحة أشجار الغابة كانت رائحة الأرض الجافة الحبيبة ، لقد ظللنا ٩٣ يوما لا نشم سوى رائحة الملح في البحر .

ذهب بنجت ليواصل نومه ، ورقد اريك وتورستين في القمرة يفكران ، وأخذ كنوت يدخل ويخرج من القمرة ، ويكتب ملاحظات في مذكرته .

خلفنا الجزيرة وراءنا ، وأخذنا نشاهدها وهي تصغر وتصغر حتى اختفت تماما في الساعة الثامنة والنصف ، وكان ثمة ضوء أزرق خافت في الشرق ظل حتى الساعة الحادية عشرة ، ثم اختفى الضوء ، وظهرت سحابة عالية فوق مكان الجزيرة ، وكذلك اختفت الطيور ،وغادرتنا معظم الدرافيل، ولم يبق تحت الطوف سوى عدد قليل من أسماك الزامور .

وعندما جاء المساء ، بدأنا جميعا نحن الى الأرض

وأشيائها ، سمعت بنجت يقول : « اريد كرسيا وطاولة لقد تعبت من القراءة على الأرض ، أنام على ظهرى ، ثم أضطجع على بطنى ، اننى لا أشعر بالراحة ، ولكنى سعيد لكوننا لم نصل الى الجزيرة ، فانا لم أقرأ كل كتبى بعد » ! .. أما تورستين فقد شعر فجأة انه يريد تفاحة ، وأخذ يتحدث كثيرا عن التفاح ، واستيقظت أنا اثناء الليل على رائحة لحم طازج ، ثم تبين لى انها رائحة قميص متسخ !

في الصباح التالى شاهدنا سحابتين أخريين .. ومثل هذه السحب تدل كما نعرف على وجود جزر ، وعرفنا من الخريطة ان اسمى هاتين الجزيرتين « فانجا هينا » و « انجاتاو » ، كانت الريح تهب فى اتجـــاه « انجاتاو » ولذا وجهنا القارب نحو هـــذه الجزيرة وقلنا لأنفسنا : « ان الرحلة على وشك الانتهاء » .. !

ظللنا ثلاثة أيام بلياليها نبحر فى اتجاه أنجاتاو وفى الصباح الرابع قال هيرمان : اعتقد أننى أرى جزيرة منخفضة هناك فى ضوء القمر .

ثم اندفع تورستين الى القمرة وهو يصـــيح : الأرض امامنا !!

اندفعنا جميعا الى الخارج ننظر ، كانت هنـــاك جزيرة بالفعل ، وانتابتنا حالة من الاضطراب ، وأخرجنا على الفور كل ما لدينا من الأعلام ، رفعنا أعلام النرويج والسويد وفرنسا وأمريكا وبريطانيا وبيرو كما رفعنـا علم نادى المستكشفين ، وبدا كون ـ تيكى فى غـــاية البهجة والمرح .

كانت الجزيرة فى طريقنا ، ولم تلبث أن ظهرت الشمس ، وشاهدنا انعكاسها على مياه ضحلة ، كانت هذه المياه عبارة عن هور (١) كبير يقع وراء سلسلة من الصخور البارزة فى عرض البحر .

وفى حوالى الساعة العاشرة أصبحنا نرى الجزيرة بوضوح ، كانت هناك صخور خطرة بيننا وبين الجزيرة وكانت الأمواج الهائلة تتكسر على هذه الصخور فى

---

(١) الهور : بحيره ضحلة متصلة بالبحر .

هدير عاصف .. كنا نعلم خطورة هذه الصخور ، ان السفن التى تقترب منها تحبس داخلها ، وترتطم فيها ولا تلبث أن تتحطم الى قطع متناثرة .

ولكننا لم نكن نرى هذا الفخ الخطر ، وأخذنا نبحر الى الامام فى أعقاب الموج ، وكان الموج يخفى الصخور . والصخور تخفى معظم الجزيرة ، ولكن كان فى امكاننا أن نرى طرفى الجزيرة ، من الجنوب والشمال ، وعلى مسافة عدة مئات من الياردات بعيدا عن الأرض كان البحر فى غاية الهيجان ، وكان الزبد الأبيض الفوار يتطاير عاليا فى الهواء ، ووجهنا الطوف نحو الطرف الجنوبى للجزيرة .

وعند الظهر رأينا جزءا من الشاطىء ، كانت هناك أشجار نخيل على الشاطىء ، وصخور كبيرة ملقاة على لرمل الأصفر اللامع ، وفى الساعة الثانية اقتربنا جدا من الجزيرة ، ثم غيرنا اتجاهنا وبدأنا نبحر بمحاذاة الجزيرة خارج خط الصخور مباشرة ، كنا نسمع زئير الأمواج وهى تتكسر على الصخور كصوت قطار يسير بسرعة هائلة .

أمسك رجلان بالمجداف وأخذا يوجهان الطوف ولما كانا يجلسان خلف القمرة فلم يكن فى امكانهما رؤية ما أمامهما ، ولذا وقف اريك على صندوق وأخذ يوجههما ، وأخذنا نقترب من الصخور فى حذر بالغ ، لم تكن هناك متاعب مع التيارات البحرية ، وكان اريك مرشدا جيدا ، أحيانا يأخذنا الى مسافة قريبة جدا من الصخور وأحيانا يبتعد بنا عنها .

كنا نحاول أن نجد ثغرة بين الصخور ننفذ من خلالها الى الشاطىء ، وتسلق واحد منا الصارى للبحث عن الثغرة ،ونزلت أنا وهيرمان فى القارب المطاطى لنبحث أيضا عن ثغرة بعد أن ربطنا القارب بحبل طويل متصل بالطوف ، وعندما يقترب الطوف من الصخور كنا نسير وراءه ، واقتربنا الى مسافة قريبة للغاية من الأمواج الغاضبة ، وعندما ينزاح الماء ، كنـــــا نرى الصخور ، ولكن لم يكن فى مقدورنا أن نرى أية ثغرة وكررنا ذلك مرارا دون أن نجد طريقا .

فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر شاهدنا الهور

.. كان محاطا بسلسلة متصلة من الصخور الضخمة ولأول مرة استطعنا أن نرى كل تفاصيل الشاطىء ولكننـــا لم نســـتطع الوصول الى الجزيرة الجميلة بسبب الصخور !

ظللنا طول اليوم نبحر بمحاذاة « أنجاتاو » ونعجب لجمالها .. كانت أشعة الشمس تتكسر على أشجار النخيل فيبدو المنظر جميلا يوحي بالهدوء والسلام ، وحمل اريك آلته الموسيقية ووضع على رأسه قبعـــة كبيرة من بيرو .. ووقف على سطح الطوف يعزف لنا ويغني أغاني الحب الشائعة في البحار الجنوبية ، وأعد لنا بنجت عشاء ممتازا عند طرف الطوف ، وكسرنا ثمرة جوز هند قديمة ورشفنا عصيرها الحلو .

لن أنسى ما حييت هذا الشعور بالسلام الذي أحسست به ، وأخذت أقول لنفسي : لا يمكن أن تكون هناك جزيرة أجمل من هذه في كل البحر الجنوبي ، لقد وصلنا الى الجانب الآخر من المحيط ، وصلنا الى

بولينيزيا ، والبحر العريض صار ملقى الى خلفنا مرة واحدة والى الأبد •

كان ذلك في اليوم السابع والتسعين لنا على ظهر الطوف ، وتذكرت صديقى ولهلم فى امريكا حين قال لى « سوف تستغرق الرحلة ٩٧ يوما على الأقل » •

فى الساعة الخامسة مررنا أمام كوخين على الشاطىء ، ولكن لم يكن هناك دخان ولا علامة على الحياة • وبعد نصف ساعة أخرى اقتربنا من نهاية الجزيرة ، وحاولنا لآخر مرة أن نعثر على ثغرة بين الصخور نمر منها الى الشاطىء ، ولاحظنا وجود عدة نقط سوداء على الشاطىء ، وفجأة تحركت واحدة منها نحو الماء وتلتها أخريات ، لقد كانوا رجالا !

اخذنا نسير بمحاذاة الصخور • وبعد قليل رأينا بعض الرجال على الشاطىء يحملون « كنو » (١)

---

(١) زورق طويل خفيف ضيق يقاد بمجداف واحد أو أكثر •

وضعوه في البحر ، وقفز اليه اثنان منهم ، وأخـذا يجذفان على الجانب الآخر من سلسلة الصخور حتى قطعا مسافة صغيرة ، ثم قلبا « الكنو » وركبا عـلى ظهره ورأينا البحر يرفع « الكنو » عاليا فى الهـواء ومر « الكنو » خلال ممر غير مرئى بين الصخور ، وتقدم مباشرة نحونا •

أخذ الرجلان اللذان في الكنو يلوحان لنا بأيديهما فرحنا نلوح لهما بحماسة أكبر ، فزادا من سرعتهما على هذا القارب البولينيزى العجيب !

قلت فى نفسى :

« الآن سنواجه عقبة اللغة ! »

« كنت قـد تعلمت لغة الماركويز اثناء زيارتى لجزيرة « فاتوهيفا » ، ولازلت أذكر بعض كلمات منها ولكن المشكلة ان الرجلين لم يكونا يعرفان « الماركويز » •

وصل « الكنو » الى جانب الطوف ، وقفز الرجلان الى سطحه ، وضحك أحدهما وهو يمد لنا يدا معروقة سمراء •

وصاح بالانجليزية :

« مساء الخير » !

اجبت وأنا اشعر بالدهشة والارتياح :

مساء الخير ! هل تتحدث الانجليزية ؟

ضحك الرجل مرة اخرى ، وقال :

مساء الخير .. مساء الخير !

كان يعرف هاتين الكلمتين فقط من اللغة الانجليزية ..

وسالته وأنا اشير الى الجزيرة :

أنجاتاو ؟

ابتسم الرجل وقال :

هانجاتاو !

وابتسم اريك بفخر . فقد كان هو الذى أخبرنا باسم الجزيرة ، لقد كان يحدد موقعنا بدقة بواسطة الشمس ، ولم يخطىء .

قلت :

نريد أن ننزل الى الأرض · ماى ماى · هى · أيوتا !!

فأشار الرجلان نحو ممـــر بين الصـــخور ، وشكرناهما وأعطيناهما بعض السجائر ، فأبديا ابتهاجا ووقفا على سطح الطوف يدخنان سجائرهما ·

لم نستطع أن نرى الممر ، ولكننا حولنا الدفة الى الناحية التى أشارا اليها ، وفى هذه اللحظة هبت ريح قوية من ناحية الجزيرة وبدأت الريح تدفعنا بعيدا عن الصخور ، لم نستطع أن نسيطر على اتجاه الطـــوف وأثبتت الدفة عدم جدواها ·· فألقينا بالمرســـاة (الهلب) فى البحر محاولين ايقاف الطوف ، ولكـــن حبل المرساة كان أقصر من أن يصل الى القاع ، فطوينا الشراع بسرعة وأخرجنا مجاديفنا الكبيرة وحاولنـــا توجيه الطوف بها ·

حاولت ان أجعل رجلى الجزيرة يجذفان بنفسيهما ولكنهما هزا رأسيهما ، وبدت عليهما الحيرة ، أخذت

أشرح ما أريد بالاشارة ، ولكنهما لم يفهما أيضا كررت كلمات : « ماى ماى · هى · ايوتا » ، وعندئذ انحنى احدهما ، وطوح بذراعيه فى شكل دائرة فى الهواء ، وقال : « برررررررر » ·

فهمت انه يريد منا ان نستخدم المحرك ، فقد كان الرجلان يعتقدان ان الطوف به محرك ، ولذا فقد أخذناهما الى مؤخرة الطوف وأريناهما جذوع البلزا ، قائلين « لا محرك ·· لا بررررر » ، وعندئذ بدت على الرجلين علامات الدهشة الشديدة ، وجلسا على الفور وبدآ يجذفان ··

أصبح ثمانية رجال الآن يكافحون بالمجاديف ، ولكن الطوف لم يتحرك ، واشتد هبوب الريح ، وبدا على رجلى الجزيرة الخوف ، فقفزا الى زورقهما « الكنو » واختفيا فى الظلام · وعدنا وحيدين فوق الطوف مرة أخرى ·

وبعد فترة من القلق خرجت من وراء الصخور أربعة زوارق « كنو » ، وسرعان ما اعتلت جمهرة من

البولينيزيين ظهر الطوف ، وأخذوا جميعا يصافحوننا ويطلبون سجائر . **قلت فى نفسى** : « لم يعـــد هناك خطر الآن . ان هؤلاء الرجال يعرفون المنطقة ، وسوف يأخذوننا عبر الممر ، سوف نهبط على الشاطىء هــذه الليلة » .

وقمنا بربط حبال فى مؤخرة كل القـــوارب ، وربطنا الأطراف الأخرى للحبال فى الطوف ، وأخــذ أهل الجزيرة يجذفون فى زوارقهم ويسحبون الطوف وراءهم ، وقفز كنوت الى القارب المطاطى الصغير وذهب مع الزوارق بينما ظل الباقون على ســــطح الطوف يجذفون .

كنا نكافح ضد اتجاه الريح ، وكان الظـــلام دامسا ، أشعل أهل الجزيرة نارا على الشاطىء ، ولكن لم يكن فى مقدورنا رؤية الممر بين الصخور ، بل لــم نستطع أن نرى الرجال فى الزوارق ، كنا فقط نسمع غناءهم ، كانوا يغنون أغانى بولينيزية ، وأحيانا كنا نسمع صوت كنوت أيضا ، كان يغنى أغانى نرويجية وكنا على الطوف نغنى أيضا .. رجال بيض وســـمر

يجذفون ، ويغنون ويضحكون فى الظـــلام الدامس تحت رذاذ الماء المتطاير ٠

كنا ممتلئين حبورا وسعادة ها قد انتهت رحـلة المعاناة بعد ٩٧ يوما ووصلنا الى بولينيزيا ، وكذلك كان أهل الجزيرة يصيحون ويهللون ، لقد تعـــودوا ان يستقبلوا سفينة واحدة تأتى الى « أجناتاو » مرة واحدة كل عام ، هذه السفينة تأتى من تاهيتى لشراء محصول جوز الهند ، **وفكرت فى داخلى** : « سوف يقيم لنا أهل الجزيرة وليمة هذه الليلة ! » ٠

ولكن الريح الغاضبة ظلت تهب ، وأخذنا نجذف بكل ما فى وسعنا من قوة ، بلا تقدم يذكر ، وحل بنا الاجهاد ، وبدأت اطرافنا تؤلمنا ، والطوف لا يتقدم الا ببطء شـــديد ، فالنار التى على الشاطىء لا تقترب وزمجرة الامواج على الصخور كما هى ، وأخذ الغناء يتوقف تدريجيا ، حتى هدأ تماما وساد السكون ،مرت أثناء ذلك ثلاث ساعات ، الساعة الآن التاسعة مساء ، وشعرنا بأن الطوف يتراجع ٠

ناديتا بأعلى صوتنا ، فعاد الينا أحـــد الزوارق الكنو • قلنا لأهل الجزيرة : « نريد مزيدا من العون، اننا ننزاح الى الخلف » وأخذنا نشير لهم بأيدينا ، وقد فهموا اشارتنا ، ولكن ليست لديهم زوارق أكبر •

ثم ظهر كنوت من تحت الظلام ، وقال : سوف أذهب بالقارب المطاطى الى الجزيرة وأحضر مزيدا من الرجال •

قلت له :

« هذا خطر جدا •• أنت لا تعرف المنطقة ، ولن تستطيع أن تمر بين الصخور فى الظلام » •

قال كنوت :

« سآخذ معى أحد سكان الجزيرة سأخذ زعيمهم• انه سيرشدنى عبر الممر » •

لم تكن هذه الخطة آمنة أيضا ، لأن أهل الجزيرة ليست لديهم خبرة بالقوارب المطاطية ، ولكنى طلبت من كنوت أن يحضر الزعيم لى لأكلمه •

ذهب كنوت ليبحث عن الزعيم الذى كان يجذف فى زورقه في المقدمة ، ومضى بعض الوقت ، ولم يعد كنـــوت ، فأخذنا نناديه ، ولم نتلق ردا ، وعندئذ فهمنا السبب ان كنـوث لم يفهم ما قلته له ، وأخذ يجذف فى اتجاه الشاطىء ومعه الزعيم ، أخذنا نصيح بأعلى أصواتنا مرات عديدة ، ولكن ما من مجيب ·

أشعلنا مصباحا ، وأخذنا نرسل له اشارة :
عد فورا ! ·· عد فورا ! ·· ولكنه لم يعد !!

أخذ الطوف يندفع الى الوراء بسرعة أكبر بعد أن حل بنا التعب الشديد ، وصرنا نرى النار على الشاطيء تصغر وتصغر ، ونسمع هدير الأمواج على الصـــخور يخفت ويخفت ·· اننا نندفع الى عرض البحر ·

مرت خمس دقائق ·· عشر دقائق ·· نصف ساعة ، وبدأ القمر يسطع ، وسمعنا همهمات الأهالى، كانـوا يتململون ويشـــكون ، انفلت أحد الزوارق واختفي عائدا الى الجزيرة ، وكان الرجال فى الزوارق الثلاثة الأخرى منهكين وخائفين ، ولم يكونوا يجذفون جيـــدا ·

وسرعان ما عادت الزوارق الثلاثة الى الطوف وصعد أحد الرجال الى سطح الطوف وأشار قائلا « ايوتا » وفهمنا انهم راغبون في العودة الى الأرض .

أعطيناهم سجائر ، وكتبت على عجل مذكرة الى كنوت قلت فيها : خذ اثنين من الأهالى معك فى زورق كنو ، ويقوم الزورق بجر القارب المطاطى .. لا تأت وحدك فى القارب المطاطى .

وطلبت من البولينيزيين اعطاء المذكرة لكنوت فأخذوا قطعة الورق ، وذهبوا فى زوارقهم ، وسمعنا صوت صديقنا الأسمر فى الظلام يقول « مساء الخير » .

ثم ساد صمت مطبق ..

رحنا ننتظر ، وأرسلنا مزيدا من الاشارات بمصباحنا ، ولكن لم يحدث شيء ، وفى الساعة العاشرة كدنا نفقد كل الأمل .

واخذت افكر فى نفسى :

« لن نرى كنوت مرة أخرى .. ولكن كنوت لم يمت ، انه لم يغرق .. ان كنوت لايرمى بنفسه

فى مخاطر غير محسوبة · انه لا يزال حيا ، وهذا فى حد ذاته يثير الغيظ ، فهل قمنا بهذه الرحلة الطويلة من أجل أن نلقى بواحد منا وحيدا على احدى جزر البحر الجنوبى ؟ ثم نبحر مرة أخرى ؟

وكانت الحبال ترتطم فى الطوف ، ولم يحاول أحد منا النوم ··

فى الساعة العاشرة والنصف سمعنا فجأة بعض أصوات فى الظلام·· كانت أصوات البولينيزيين، فأخذنا ننادى بأعلى أصواتنا ، ثم سمعنا صوت كنوت، فابتهجنا بشدة حتى كدنا نجن ، لم تعد تهمنا جزيرة « أجناتاو » فهناك جزر أخرى كثيرة فى البحر ، ما يهم هو شىء واحد فقط أن يعود الرجال الستة معنا مرة أخرى ·

برزت ثلاثة زوارق كنو من الظلام ، وقفز كنوت الى سطح كون ـ تيكى ، لقد عاد الرجال الستة الى سطح الطوف ، ثم صعد الينا ستة رجال سمر ، كانوا فى عجلة من أمرهم ، انهم يريدون العودة الى الجزيرة

سريعا ، ولكنهم كانوا قلقين علينا ، وأشاروا الى الغرب قائلين ما فهمنا منه ان هناك صخورا خطرة فى الغرب وكان زعيم الجماعة يبكى بدموع فى عينيه ، وقبلنى ، كنت سعيدا ان لى لحية ! شـــكرنا الرجـال السمر وأعطيناهم هدايا ، ثم نزلوا الى زوارقهـــم وجذفوا مبتعدين ، وأصبحنا وحيدين مرة أخرى .

وقص علينا كنوت ما حدث ، قال انه لم يفهمنى ولذلك أبحر نحو الجزيرة مع الزعيـم ، وعندما رأى الاشارات الضوئية من كون ـ تيكى أخذته الدهشة ، وطلب من الزعيم العودة الى الطوف ولكنه رفض ، وحاول كنوت أن يأخذ منه المجاذيف ، ويدأ يتعاركان ، ولكنهما كانا قريبين جدا من الصخور ، ورأى عـــراك هنـا له خطورته ، فتوقف كنوت عن المحاولة ، ومر القارب المطاطى عبر الفتحة فى الصخور ووصـــل الى الجزيرة ، وهنا خرجت جموع الأهالى وجذبت القارب الى الشاطىء .

وهنـــاك التفت جموع من الرجـال والنســاء والأولاد السمر حول كنوت ، فأخذ يشير اليهم طالبا

أن يعود معه بعض منهم الى القارب ، ثم ظهر رجل كبير ضخم الجثة ، انه الزعيم ، طلب كنوت من الزعيم أن يرسل معه بعض الرجـال ، وأخذ يشرح ما يقول بالنرويجية والانجليزية ، ولكن الزعيم كان يبتسم فقط ، ولم يفهم شيئا •

واخذوا كنـوت الى القـرية تحف به الكلاب والخنازير وفتيات البحر الجنوبى الجميلات ، وكانت الفتيات يقدمن له الفاكهة الطازجة ، ولكن كنوت لم يكن يريـد هدايا ، كان يفكر فقط فى الطوف ، وكانت نوايا أهل الجزيرة واضحة ، فهم يعرفون ان هنـاك أشياء حسنة في سفن الرجال البيض ، ويريدون أن ننزل الى الشاطىء لنعطيهم هدايا ، وكانوا يفكرون على هذا النحو : اذا بقى هذا الرجل هنـا فان الآخرين سوف يأتون حتما ، فلا يمكن أن تترك سـفينة رجلا أبيض وحيدا فى انجاتاو •

واجه كنوت عدة تجـارب غريبة ، وبعد وقت اسـتطاع ان يعود الى القارب المطاطي ، وكان لايزال

محاطا بالرجال والنساء ، ثم وصلت الزوارق الثلاثة واعطي « صديقنا » مذكرتي الى كنوت ٠

قال كنوت :

وعندئذ واجهتني مشـكلة ، فان مذكرتك تقول « لاتعد في القارب المطاطي وحيدا » ولكن أهلي الجزيرة رفضوا أن يعودوا معي ، وحدثت بينهم مناقشـات عنيفة ، ولكنهم ، أخيرا ، وافقوا على أن يعودوا بي الى الطوف ، وهاأنذا ٠ هنا !!

ساله تورستين :

ـ هل استمتعت بوقت طيب في الجزيرة ؟

أجاب كنوت ضاحكا :

ـ جدا ٠٠ وقت رائع ٠٠ الفتيات كن جميلات ٠٠ بالغات الجمال !

ظللنا ثلاثة أيام نضرب في عرض البحـر دون أن نرى أرضا ٠٠ كنـا نبحر في اتجـاه صخور

« تاكوم » و « راروريا » الخطرة ، هذه الصخور تمتد في عرض البحر لمسافة أربعين أو خمستين ميلا .. وحاولنا بقدر الامكان أن نوجه الطوف للابحار الى الشمال من هذه الصخور ، ولكن ذات ليلة تغير اتجاه الريح ، ودفعتنا الرياح مباشرة فى اتجاه صخور « تاكوم » ، وكان المطر ينهمر والرؤية غير واضحة ولكننا كنا نعلم ان الصخور ليست بعيدة .

وفى منتصف تلك الليلة اجتمعنا لمناقشة الموقف .. كنا نحاول أن ننقذ حياتنا .

قلنا :

« لن يمكننا أن نبحر حول الطرف الشمالى للصخور ، يجب أن نحاول الابحار حول الطرف الجنوبى » ولكن الابحار فى هذا الطريق محفوف بالمخاطر لأن الريح غير ثابتة ، وكنا جميعا نفهم الموقف، فاذا عادت الريح الشرقية سوف تلقى بنا على الصخور ، فيتحطم الطوف .

وقررنا انه فى حالة تحطم الطوف يجب أن

نستمر متشبثين بأخشابه ، ولا نحاول تسلق الصارى ونمسك بالحبال عندما ينهمر البحر فوقنا .

وأعددنا القـــارب المطاطى ، وزودناه بجهـــار لاسلكي صغير ، كما وضعنا فيه كمية من الطعام والمياه العذبة ، ثم زحفنا الى مراقدنا .

رحنا نتقدم ببطء ، وبعد ظهر اليوم التالى هبت الريح الشرقية ، كنا قد قطعنا مسافة طويلة الى الجنوب وقررنا أن نوجه الطوف الى جنوب صخور « راروريا » لقد أمضينا حتى الآن مائة يوم فى البحر .

فى حوالى الساعة السادسة من صـباح اليوم التالى ، نزل تورستين من فوق الصارى ، كان مضطربا، وصاح « اننى أرى عدة جزر أمامنا » .

حولنا اتجاه الطوف نحو هذه الجزر ،.ولم نلبث أن تبينا الخطر الذى يحيق بنـا ، كانت أقرب هذه الجزر لاتبعد أكثر من أربعة أو خمسة أميال ، ولكن الجزر جميعا تقع خلف منطقة هائلة من الصـخور ، ولم يكن فى امكاننا أن نوجه الطوف بعيدا عن الصخور

بسبب تفكك الألواح المركزية ، كما لم يكن فى امكاننا ان نغوص تحت الطوف لتثبيت الالواح ، خوفا من أسماك القرش •

وجاءتنا جميعا نفس الفكرة : لن يمكننا انقاذ الطوف ان كون ــ تيكي سوف يتحطم !

وبدأنا نقوم باستعداداتنا ، أدخلنا كل ماله قيمة داخل القمرة ، وربطنا سجلاتنا ومذكراتنا فى حقائب خاصة ، وأوثقنا كل شيء جيدا بالحبال ، ثم غطينا القمرة الخيزرانية نفسها ، كما فعلنا أشياء مختلفة لحماية الطوف نفسه •

وذكرت الرجال بخطتنا ، قلت : « تذكروا ما اتفقنا عليه •• ابقوا على الطوف ؛ لاتقفزوا الى البحر ؛ امسكوا بالحبال جيدا » •

وارتدينا أحذيتنا لأول مرة منذ ١٠٠ يوم وأعددنا سترات النجاة ، وجلسنا ننتظر •

كنا ننجرف فى اتجاه الصخور ، وقد استبد بنا القلق ، ولكنا لم نفقد ثقتنا في الطوف ، ونسان حالنا

يقول : « لقد حملنـا الطوف عبر المحيط العريض ، ولن يتخلى عنا الآن ، سوف يحملنا الى الأرض أحياء » .

وكتبت في مذكرتي عن ذلك اليوم :

الســاعة ٨ر١٥ : نتقدم ببطء نحو الأرض ، يمكننا الآن رؤية أشجار نخيل متفرقة .

الســـاعة ٨ر٤٥ : ازدادت الريح ســوءا ، لن يمكننا أن نتحاشى الصخور ، هناك شيء فوق الصخور، يبدو انه حطام سفينة ، ولكن ربمـا يكون كومة من الأخشاب فقط .

الساعة ٩ر٤٥ : الريح تدفعنا نحو جزيرة في الجنوب ولكن الجزيرة تقع خلف الصـخور مباشرة ، نستطيع الآن رؤية الصخور بوضـــوح ، انها تشبه الحائط الضخم ، والبحر على طول الصخور في شدة الهياج . بدأ بنجت يعد لنا وليمة ســاخنة ، انها عشاؤنا الأخير ! سوف نتحطم على الصخور !

الساعة ٩ر٥٠ : أصبحنا على مســافة قريبـة

الآن ، نبعد ١٠٠ ياردة فقط ، تبدو الأمور سيئة ، ولكننا سوف ننجح ..

وبعد دقائق ألقينا بالمرساة في البحر فوصلت الى القاع وتوقف كون ـ تيكى عن السير ، وتحولت مؤخرته فى اتجاه الصخور .

وبعث تورستين رسالة لاسلكية الى «راراتونجا»

قال لعامل اللاسلكى :

نحن نندفع تجاه صخور راروويا ، أرجو متابعة اشاراتنا كل ساعة ، اذا انقطعت الاشارات ٣٦ ساعة أخبر واشنطون وأخبر السفارة النرويجية وشكرا » !

كنا على استعداد ، أمسك كل رجل منا بحبل ، وأخذنا نصيح « أمسك جيدا ! أمسك جيدا ! » وقطعنا حبل المرساة وبدأ الطوف يتجه نحو الصخور مرة أخرى ارتفع البحر من تحتنا ورفع كون ـ تيكى فى الهواء ، لقد حلت اللحظة العظيمة ، شعرنا بالاضطراب ولكننا نجونا .

ولوحت بذراعى صائحا :

« هوراه ! . هوراه ! » .

ولـــكن موجـات أخـرى لم تلبث أن دهمتنـا واحسست بضربة قوية غاص على أثـرها الطوف فى البحر واندفعت الميـاه فوقنا ، تشبثت بالحبل بكل قوتى ، كانت قوة الماء كبيرة جدا وأحسست أن ذراعى كادتا تنخلعان من جسدى ، ثم مر جبل الماء ، ونحن لانزال أحياء .

وعلى الفور اندفعت موجـة كبيرة أخـرى فوق الطوف واختفى كون ـ تيكى تحت البحـر ، وضغط البحر بكل قوته على أجسامنا البشرية الصغيرة ، ولكن لم نلبث أن صعدنا الى السطح مرة أخرى ، ثم استمرت الأمواج العاتية تصفعنا .

وسمعت صوت كنوت يصيح مبتهجا :

انظروا الى الطوف ! انه لايزال طافيا !

تكسر الصارى ، وانهارت القمرة ، ولكن الضرر لم يكن بليغا .

وبعد ثوان قذفت بنا الأمواج الى ارتفاع ٢٥ قدما ثم اختفينا تحت البحر مرة أخرى ، وفى هذه المرة كانت قوة الماء رهيبة ، واصطدم الطوف بالصخور !

وعندما خرجنا الى السطح ثانية ، شعرت بالحزن لمنظر كون ـ تيكى ، لقد تغير الآن تماما ، اصبح كومة من الحطام !!

رأيت رجلا واحدا الى جانبى ، هيرمان ، كان منبطحا على سقف القمرة القديمـة بلا حراك ، القمرة تحطمت تماما ٠٠ دفة التوجيه مكسورة ٠٠ الصارى مكسور ٠٠ أرضية الخيزران التى تكسو سطح الطوف ممزقة تماما !

شعرت بالخوف ، ولكن تورستين لم يلبث أن ظهر ٠٠ كان معلقا فى بعض الحبال كالحيوان ، وحرك هيرمان رأسه ، وحاول أن يبتسم ٠

صحت انادى الرجال الآخرين :

أين انتم ؟ هل أنتم بخير !

سمعت صوت بنجت الهادىء :

« نعم .. نحن جميعا على السطح » .

كانوا خلف حطام الخيزران ، ونظرت الى مؤخرة الطوف ، كانت الجذوع ترتطم فى صخرة عالية لاتستطيع أن تعتليها ، وشعرت بالقلق ، ثم جاءت موجات أخرى ورفعتنا فى الهواء مرة أخرى ، ورأيت جلاميد الصخر الأحمر واضحة تحتنا ، فقفز تورستين الى الصخر ، وكاد كنوت أن يتبعه .

ولكنى صحت :

ابقوا على الجذوع !

قفز تورستين عائدا الى حطام الطوف كالقطة ..

ثم امتلأ البحر من تحتنا ورفعنا فوق الصخور وهبط كون ـ تيكى برفق على اللسان الصخرى المتصل بالشاطىء فقفز كنوت الى الصخر وتلاه اريك وبنجت وهيرمان ثم تورستين وأنا .. كان أسوأنا اصابة هو بنجت الذى أصيب فى رأسه ، وأكثرنا حظا اريك الذى احتمى فى حطام القمرة فحمته من الأمواج .

كان الطوف ملقى داخل الصخور بين برك من المياه والصخر المبتل ، ورحنا ننقذ بعض معداتنا ، فأفرغنا القارب المطاطى من الماء وحملناه بأهم المعدات وسحبناه الى جزء جاف فوق الصخور حيث وضعنا المعدات فوق بعض الصخور العالية ، ثم عدنا بالقارب وحملناه بمعدات أخرى ، وظللنا نفعل ذلك عدة مرات ثم غادرنا اللسان الصخرى .

عند الطرف الجنوبى من اللسان الصخرى كانت توجد جزيرة مستطيلة ، وعند الطرف الشمالى توجد جزيرة أصغر منها ، واخترنا هذه الجزيرة الأخيرة ، وألقينا نظرة أخيرة حزينة على حطام الطوف ثم بدأنا نسير فى اتجاه الجزيرة ، سار كنوت فى المقدمة وتلاه بنجت وهو يدفع أمامه صندوقا ، كان الصندوق يحوى الموقد وأدوات المطبخ ، وفتح بنجت غطاء الصندوق **وأرانى معداته وقال مزهوا :**

سوف نحتاج الى هذه الأشياء فى الجزيرة !

لن أنسى ما حييت هذه اللحظات التى حملتنا الى

الأرض ، عنـدما وصـلت الى الجزيرة خلعت حذائى وغرسـت أصابع قدمى فى رمل الشاطىء السـاخن الجاف ، ثم مشيت فى ظل أشجار النخيل ، ووصلت الى منتصف الجزيرة الصغيرة ، كانت ثمار جوز الهند الخضراء مدلاة من الأشجار ، وثمة شـجيرات مغطاة بزهور بيضاء لها رائحة حلوة ، شعرت اننى على وشك الاغماء ، فجلست على الأرض وغرست أصابعى فى الرمال .

لقد انتهت الرحلة ، ونحن لانزال أحياء ، جئنا الى جزيرة منعزلة فى البحـر الجنوبى ، وهى جزيرة بالغة الجمال .

استلقينا على ظهورنا فوق الأرض ، وأخذنا ننظر الى أشجار النخيل والطيور ، وتسلق هيرمان شجرة وجاء ببعض ثمـار جوز الهند الخضراء ، فقطعناها وصببنا لبنها فى حلوقنا العطشى ، كان حلوا وباردا .

كنا لانزال تسمع هدير الأمواج ، وكان البحـر هائجا ، ولكننا لم نهتم ، فقد كنا فوق جزيرة جميلة . انها الجنة !

الفصل الثامن

أهالى بولينيزيا

كانت جزيرتنا الصغيرة مهجورة لايعيش فيها احد .. يبلغ عرضها حوالى مائتى ياردة فقط ، ولم نلبث أن عرفنا كل تفاصيلها .

كنا نشعر بالجوع ، وقررنا أن نعد وليمة . فجمعنا بعض السراطين من الشاطىء وقطفنا بعض ثمار جوز الهند الناضجة من أشجار النخيل ، وجمع كنوت بعض الأخشاب والأعشاب الجافة وأوقدنا نارا وطهينا السراطين وأكلناها ، ثم أعددنا القهوة وشربناها بلبن جوز الهند .

قال كنوت : ان الحياة بديعة على الأرض ، أليس كذلك يا أولاد ؟

وبعد أن تناولنا طعامنا حاول كنوت وتورستين اعداد جهاز اللاسلكى .

وقالا :

علينـا أن نبعث رسـالة الى الرجـل الذى فى « راراتونجا » ، يجب أن نخبره بأننـا سالمون ، انه ينتظر اشاراتنا كل سـاعة ، وسـوف ينتظر لمدة ٣٦ ساعة ، فاذا لم يسمع منـا خلالها ، سوف يتصل بواشنطون ويبلغها ان كون ـ تيكى قد تحطم •

بذل تورستين وكنوت جهدا كبيرا ، ولكنهما لم يستطيعا ارسال اشارتهما اللاسلكية فى ذلك اليوم فقد كانت الأجهزة مبتلة ، فقاما بنشر الأجهزة فوق الأرض •

وقالا :

سوف تجف سريعا فى الشمس

صنعنا خيمة من شراع كون ـ تيكى ، وصنعنا لأنفسنا أسرة من سعف النخيل ، ثم دخلنـا جميعا الى الخيمة واضطجعنا على الأسرة • كان هيرمان يشكو آلاما فى رقبته وظهره ، وبنجت يعانى من الصداع ، واريك رجلاه تؤلماه ، وكنا جميعا مصـابين بجـروح

صغيرة ، ولكن فيما عدا ذلك كان كل شيء على ما يرام، اننا لم نعان كثيرا نتيجة لتحطيم الطوف ، وها نحن الآن مستريحون في خيمتنا ، وأخذنا نتحدث لبعض الوقت ، ونظرنا الى أعلى فرأينا وجه تيكي العجوز يطل علينا في قماش الشراع فضحكنا بهدوء ، وأسلمنا أنفسنا للنوم .

استيقظنا في الصباح التالي عندما بزغت الشمس في السماء .

قال بنجت : لقد أمطرت أثناء الليل ، توجد بركة كبيرة من الماء في خيمتنا .

ثم اتجه بنجت الى الشاطئ قائلا :

سأحاول صيد بعض الأسماك لاعداد الافطار ، وتبعناه ، الى البحيرة الضحلة (الهور) المجاورة للشاطئ كانت بحيرة كبيرة بالغة الجمال ، مياهها زرقاء صافية تترقرق ، فنزلنا الى البحيرة نسبح ونلهو ، واصطاد بنجت أسماكا شكلها غريب ، ثم عدنا وطهيناها .

بعد الافطـــار حاول تورستين وكنـوت تركيب اللاسلكي مرة أخــرى ، ولكن الأجهزة كانت لاتزال مبتلة .

قال تورستين : يجب أن نرسل رســـالة قبل الساعة العاشرة من مساء اليوم والا فان صديقنا فى فى « راراتونجا » ســوف يبلغ السـفارة النرويجيه وعندئذ سوف يرسلون طائرة للبحث عنّا .

ظل رجلا اللاسلكى يعملان طول اليوم لاصــلاح الجهاز ، وجاء الظهر ، وتلاه العصر ، وغربت الشمس ولايزال اللاسلكي صامتا ، الساعة الآن السابعة .. فالثامنة .. فالتاسعة ، بدأنا نسمع بعض الموسيقى الخافتـــة ، ولكن لانزال غير قادرين على ارســـال اشارات لاسلكية ، وشعرنا بالقلق الشديد .

أخذنا ننظر فى ساعاتنـــا بقلق ، همس أحدنا « باق سبع دقائق » ثم « باق خمس دقائق » !

وفجأة سمعنا صوت صديقنا فى « رارا تونجا » لقد سمعنا عدة كلمات فقط من رسالته ، هذه الكلمات

هى : « لاتوجد طائرة على هذا الجانب من ساموا اننى واثق » •

صحنا « هذه الرسالة عنا ! » ودهشنا : ما الذى يحدث ؟ هل أرسلوا بالفعل طائرة لانقاذنا ؟

وأخذ رجلا اللاسلكى يعملان بسرعة ، والعرق يتصبب على وجهيهما ، وفى النهاية استطاعا ارسال اشارات •

نادى تورستين على « راراتونجا » ، ولكن أحدا لم يلتقط الاشارات ، كرر النداء ، ولم يسمعه أحدا ،

وعندئذ وجه تورستين رسالة الى « جميع محطات الراديو فى العالم » •

وأجابنا صوت خافت ، قال « اسمى بول أنا أعيش فى كلورادو ، ما اسمك ؟ أين تعيش ؟

أجاب تورستين : هنا كون ـ تيكى •• اننا فى جزيرة قاحلة فى المحيط الهادى •

ويبدو أن بول لم يصدق تورستين ، لقد ظن انه شخص يريد المزاح ، فلم يرد ، ويئسنا !

وبعث تورستين رسالة أخرى ، وظل يردد « الجميع سالمون ٠٠ الجميع سالمون ٠ الجميع سالمون » كان يحاول وقف عملية الانقاذ التي لا داعى لها ، ولكن هذه الرسالة لم يفهمها أحد ٠ فقد أجابنا صوت ضعيف آخر : اذا كان الجميع سالمين ، فعلام القلق !

كان هذا هو كل شيء ٠٠ وأخذنا نلعن ونسب ، وفجأة سمعنا صديقنا القديم « هال » ، وابتهج لكوننا أحياء ، ووعد أن يتصل براراتونجا ٠

وذهبنا الى النوم سعداء ٠



في اليوم التالى قرر ايريك وهيرمان أن يستكشفا جزيرة أخرى بالقرب من الصخور ٠

حذرتهما قائلا :

احذرا أســـماك الانقليس (١) انها قد تصيبكما بالتسمم ، ان لها أسنانا طويلة حادة يمكن أن تمزق ساق الرجل ، انهـــا أخطر من أسماك القرش خذا السكاكين معكما !

وضع الرجلان مدى طويلة في أحزمتهما ، وبدآ جولتهما ، أخذا يسيران فوق الصـــــخور ، وأحيانا يسبحان حتى وصلا الى الجزيرة بسلام وراحا يتجولان فيها حتى وصلا الى نهايتها الضيقة ، وهناك وجدا حطام سفينة اسبانية قديمة ، ثم اخذا يســـتكشفان الجانب الآخر من الجزيرة ، وبعد ذلك أخذا طريقهما عائدين فوق الصخور .

وفجأة هاجمتهما ثمان ســـمكات انقليس كبيرة فقفزا الى صخرة عالية ، كانت اسماك الانقليس خضراء اللون بها نقط بيضاء . تشـــبه الحيات الكبيرة ،

---

(١) نوع من الأسماك السامة .

وضرب الرجلان بمديهما فقطعا رأس احداها وأصابا الاخرى وتدفق الدم فى البحر فجذبا عدة أسماك قرش ، وهاجمت القروش أســـماك الانقليس ، وعنـدئذ قفز اريك وهيرمان الى صخرة أخرى ، وهربا ٠

فى نفس اليوم ، هاجمتنى سمكة وأنا أســـبح فى الهور ، أمسكت ساقى بأسنانها فسحبت نفسى من الماء حتى وصلت الى الرمل الجاف ، وعندئذ تخلت السمكة عن قبضتها واستدارت عائدة الى البحر فأمسكت بحفنة من الطوب وألقيتها وراءها ٠

كنا سعداء فى جزيرتنا ، ولكن لا يمكننا بالطبع أن نقضى هنا بقية حياتنا ، بعد أسبوع واحد بدأنا نفكر فى العودة الى المدنية ، قررنا أن نبحر الى جزيرة أخرى ، كنا نريد العثور على جزيرة بها ناس ، وكان « كون ـ تيكى » قد جنح فى وسط الصخور فـوق أرض جافة ، وحاولنا أن نحرك حطامه الى الهـــور ، ورحنا نجذب وندفع ، ولكننا لم نستطع أن نحركه ٠

ومرت أيام أخرى ، وذات صباح شاهدنا شراعا

أبيض على صفحة الهور ، وسرعان ما ظهر خلفه شراع آخر ، وأخذ الشراعان يكبران كانا يتقدمان نحـونا• فأحضرنا أعلامنا وأخذنا نلوح بها •

اقترب أحد الشراعين الى مسافة قريبة جدا ، كان زورقا (كنو) من الطـــراز البولينيزى يقف على ظهره رجلان ، كان الرجلان يتفرسان فينا ، لوحنـا لهما بأيدينا ، ولوحا هما لنا ، وحييناهما بما نعرف من كلمات بولينيزية فرددا كلماتنا ، وأخذا يصيحان فى دهشة •

قفز أحد الرجلين من الزورق وراح يجذبه وراءه في الماء الضحل في مواجهتنا ، كان الرجلان يرتديان ملابس بيضاء ولكن لونهما اسمر ، وأخذا يتقـدمان نحونا فى حذر • فابتسمنا لهما وتقدمنا نصافحهما ، وعندئذ بدت عليهما معالم السعادة •

ظن الرجلان اننا نتحدث البولينيزية ، لأننـــا حييناهما بها ، فطفقا يتحدثان الينا باللغة البولينيزية وظلا يتحدثان بسرعة كبيرة ولمدة طويلة ، وعندمـــا

رأيا اننا لا نفهم ، ضحكا ، واشارا الى الزورق الآخر الذى كان قد اقترب بدوره •

فى الزورق الآخر كان هناك ثلاثة رجال أحدهم يتحدث قليلا من الفرنسية ، قال : « توجد جزيرة وراء الصخور ، وتوجد قرية فى الجزيرة ، رأينا من القرية النار التى تشعلونها ، شعرنا بدهشة شديدة لم نكن نفهم ، هناك ممر واحد عبر الصخور ، هـــذا الممر يمر بقريتنا ويدور حولها ثم يؤدى الى كل الجزر الأخرى ، لم تأت أى سفينة الى هذا الممر من وقت طويل ، كيف استطعتم انتم الوصول الى هنا ؟

لم يكن البولينيزيون بالطبــــع قــد رأوا كون ـ تيكى ولذا فقد دهشـــــوا لرؤية النار ، من الذى أشعلها ؟ لابد ان الجزيرة مسكونة بالاشباح !

وبعد ذلك حدث ان انجرف جزء من صـــــندوق خاص بنا عبر الهور الى القرية ، وكان فى القــرية شخصان يعرفان الحـــروف اللاتينية ، فقرآ عليــــه اسم « تيكى » Tiki مكتوبا بحروف سوداء

كبيرة على الخشـــب ، وعنـدئذ تأكد البولينيزيون ان المسألة فيها أشباح ، اذ ان تيكى هو جدهم الأول ، انه الرجل الذى بدأ جنسهم ، انهم جميعا يعـرفون ذلك . وبعد ذلك أخذت تطفو على سطح الهور علب الخبز والسجائر والبن ، فتأكد البولينيزيون انه لابد أن تكون هناك سفينة قد تحطمت على الصخور ، وأمر زعيم القرية بارسال هذين الزورقين للبحث عن الرجال المفقودين .

سألنا البولينيزيون :

لماذا « تيكى » على الصندوق ؟

اخذنا نشرح :

« كون ـ تيكى اسم سفينتنا ، والحطام الموجود على الصخور حطام سفينتنا لقد اصطدمنا بالصخور ، ولكننا جميعا سالمون » .

دهش اصدقاؤنا الجدد ، وحاولوا اصطحابنا الى القرية فى زورقيهم ، ولكننا شـــكرناهم ورفضـــنا

وافهمناهم اننـــــا نريد تخليص كون ـ تيكى مـن الصخور ٠

قال البولينيزيون :

هذا غير ممكن ! يجب أن تأتوا معنـــا ، أمرنا الرئيس أن نحضركم الى القرية ٠

وبعد مناقشة ، ذهب بنجت مع البولينيزيين ٠

في اليوم التالى شاهدنا عددا كبيرا من الأشرعة البيضاء تأتى من بعيد ٠ وأخـــذت الزوارق تقترب وتقترب ، ورأينا بنجت فى الزورق الأول كان يلوح بقبعته **وصاح** : الرئيس معى !

ووصل الجمع الى الشاطىء حيث نقف ، وقدمنا بنجت الى الرئيس وسط مظاهر ترحيب بالغة ، وقدم الرئيس الينا ٠ كان اسمه : تبيورا ـ يارى ترى ـ فاتاو ٠

قال الرئيس :

يمكنكم أن تنادوني « تيكا » ٠

كان تيكا بولينيزيا طويل القامة لامع العينين • وكان رئيسا لجزيرتي رارويا وتاكوم ، وفي صباه ذهب الى المدرسة في تاهيتي ، وكان يتحدث الفرنسية ويستطيع أن يقرأ ويكتب •

قال تيكا : ثلاث سفن أجنبية فقط جاءت الى رارويا خلال السنوات العشر الماضية ولكن تاتينا سفينة من تاهيتي بانتظام •

وأبلغني بنجت : لا توجد مدارس في الجزيرة ، ولا توجد اذاعة ، ولا يعيش رجال بيض في رارويا •• ولكن ١٢٠ بولينيزيا هناك يستعدون للترحيب بنا !

وأراد الرئيس أن يرى كون ـ تيكي ، ولذا أخذنا نخوض في المياه الى مكان الطوف مع الرئيس وجمهرة الاهالي •

صاح احد الأهالي :

هذا ليس قاربا ! انه باى ـ باى !

وردد الجمع كلمته : باى ـ باى •• باى ـ باى !

وصعدوا على سطح الطوف ، وراحوا يجرون هنا وهناك كأطفال مبتهجين ، وتحسسوا جذوع البلزا والخيزران والحبال ، وكان الرئيس مبتهجا كذلك .

ثم عاد الرئيس وقال : ان « تيكى » ليس قاربا ، أنه باى ـ باى !

وفهمنا طبعا أن « باى ـ باى » معناها « طوف » باللغة البولينيزية .

وأضاف الرئيس : لا توجد باى ـ بايات الآن !

وأعجب جميع الرجال بجذوع البلزا ، ولكنهم لم يعجبوا بالحبال ، **قالوا** : « ان مثل هذه الحبال لا تدوم مدة طويلة .. ان الماء المالح والشمس يجعلانها تهترىء بسرعة » وأرونا فخورين حبالهم . هم ، وكانت بالفعل أقوى من حبالنا كثيرا ، فهى مصنوعة من ألياف نخيل جوز الهند ، **وقالوا** : « ان حبالنا يمكن أن تعيش فى البحر خمس سنوات » .

وعدنا خائضين فى المياه جزيرتنا الصغيرة

ثم اجتمعنا جميعا وأسمينا الجزيرة « كون ـ تيكى »
فقد كان من السهل علينا جميعا أن ننطق هذا الاسم ،
ولكن أصدقاءنا السمر لم يستطيعوا نطق أسمائنا .

قلت لهم : تستطيعون ان تنادونى « تيراى ـ ماتياتا » .. وكان رئيس تاهيتى قد أعطانى هـــذا الاسم ، فابتهجوا جميعا .

أخذنا نحكى لهم بعض ما حدث لنا فى الرحلة ، وأثارتهم بصفة خاصة مغامراتنا مع أسماك القرش ، وأريناهم صور الأسماك التى رسمناها فعرفوها كلها وأخبرونا بأســمائها ، ولكنهم لــم يكونوا قد رأوا أو سمعوا عن الحوت .

وفى المساء جلسنا نستمع الى الراديو وابتهج البولينيزيون كثيرا بهذا الجهاز ، وقاموا يرقصون على موسيقى مذاعة من أمريكا ، ودهشنا !

وفى تلك الليلة نمنا جميعا حول النار سويا ..

فى الصباح التالى ، كان زئير الأمواج على الصخور

عاليا جدا ، والبحر شـــديد الهياج ، والريح تهب بقـــوة .

وقال الرئيس : ان تيكى سيأتى الى الشـــاطىء اليوم .. سكيون المد عاليا !

حوالى الســاعة الحادية عشرة بدأت الميـاه تعلو أمامنا وأخذت تملأ الهور الذى بدا كحمام سباحة يجرى ملؤه بالماء ، وارتفع البحر حـــول الجزيرة من جميع الأركان ، وبدأ كون ـ تيكى يتحرك ، استمر البحر يعلو ويعلو فبدانا نشعر بالقلق .

وقلت فى نفسى :

ـ « ان المحيط كله يأتى الينا » !

داركون ـ تيكى حول نفسه ، وجنح نحو بعض الصخور .

قفز بعض الأهالى الى البحر وعاموا الى الطوف وتبعهم كنوت واريك ، أمسك البولينيزيون بالحبال وحاولوا ايقاف الطوف ولكن لم تكن لديهم خبرة به فجرهم كون ـ تيكى معه وهو يطفو فوق الصخور ،

ووصل الى الهور ، وهنا استطاع البولينيزيون ربط أحد حبال الطوف فى شجرة جوز هند على الشاطىء ثم جروه بعد ذلك الى الشاطىء ٠

وبعد ذلك أبلغنـــا البولينيزيون انهم يجب أن يعودوا الآن الى قريتهم لأن « هناك ولدا صغيرا مريضا جدا لديه خراج كبير فى رأسه انه يموت » ٠

كان لدينا بعض البنسلين ، وفكرنا أن البنسلين قد يشفيه ، ولذا ذهب بنجت وهيرمان مع البولينيزيين لرؤية الولد ٠

خلال اليومين التاليين كنا نحن الأربعة : اريك وكنوت وتورستين وأنـا وحيدين فى جزيرة كون ـ تيكى ٠٠ وفى اليـــوم الثانى سبحنا تحت الطوف وفحصنا الجذوع ، كانت الجذوع فى حالة طيبة جدا ليس فيها سوى عطب يسير ولم ينقطع ســـوى أربعه حبال ، فنظفنا ســـطح الطوف ، وأصلحنا القمرة ، وخيطنا الشراع وعندئذ بدا كون ـ تيكى الفخور فى حالة أحسن جدا ٠

وفيما بعد من نفس اليـــوم عاد البولينيزيون ليأخذونا • الى قريتهم •

وكان معهم هيرمان وبنجت اللذان قالا لنـــا :

ان الأهالى يعدون وليمة عظيمة فى القرية •

ركبنا فى زوارقهم وأبحرنا عبر الهور ، كان عرض الهور سبعة أميال ، وودعنا جزيرة كون ـ تيكى ونحن نشعر بالحزن ، ولكن لم تلبث أن ظهرت أمامنا جزر أكبر ، وكان الدخان يتصاعد من احداهما ، يأتى من أكواخ متناثرة بين أشجار النخيل •

رسونا على هذه الجزيرة ، ولكن القرية كانت تبدو ميتة ، لم نشاهد أحدا •

تساءلنا باستغراب :

ـ « أين الناس ؟ » ولكن كان هناك فى الواقع رجلان يقفان فى انتظارنا وراء بعض الصخور أحدهما طويل ونحيف والآخر قصير وسمين ، عرفنا الأول على الفور انه الرئيس تيكا ، أما الآخـــر فكـــان مســـاعده « توبوهو » •

أحببنا فى « توبوهو » ابتسامته الودية ، وبالرغم من انه لم يكن فى مثل ذكاء « تيكا » الا انه كان شخصا مميزا جدا ، كان يبدو كرئيس بولينيرى حقيقى ، والواقع انه كان الرئيس الحقيقى للجزيرة الذى يفعل كل شىء ، ولكن « تيكا » كان يستطيع أن يعد الأرقام ويكتب ويتحدث الفرنسية ، فى حين أن « توبوهو » لم يكن يعرف هذه الأشياء ، لذلك فقد جعلوا « تيكا » رئيسا ، وجعلوا « توبوهو » مساعدا للرئيس .

قال « تيكا » :

ـ سوف نسير معا الى مكان الاجتماع .

سار هيرمان فى المقدمة حاملا العلم ، وسرت خلفه بين الرئيس ومساعده ..

كانت بعض أكواخ القرية قديمة وجميلة ، والبعض حديث ، ولكن الأكواخ الحديثة سيئة البناء وخشنة المظهر ، وكان هناك بيت كبير يقف وحيدا بين أشجار النخيل .. انه دار الاجتماعات الجديدة فى

القرية ، فدخلنا الى هناك من باب خلفى صغير ، ونفذنا من داخل البناء الى الخارج مرة أخرى حيث وقفنا فوق بعض السلالم ..

كان جمع غفير من الناس قد تجمعوا أســـفل السلالم . كانوا نساء وأطفالا ، عجائزا وشبانا ، ان القرية كلها تقريبا جاءت للترحيب بنا ..

وأخذ أهل القرية ينشدون « المارسيلييز » ، النشيد الوطنى الفرنسى ، لأن الجزيرة تابعة لفرنسا ، ولما كان تيكا يعرف الكلمات لذلك كان يقود الغناء ، وكان العلمان الفرنسى والنرويجى مرفوعين فى مقدمة السلالم ، ثم انسحب « تيكا » بهدوء حيث وقف بعيدا ، وتقدم « توبوهو » السمين ، وعمل اشارة ، فبدأ الجمهور يغنى أغنية أخرى ، هذه المرة بالبولينيزية .

كانت موسيقاها جذابة وبسيطة وكلماتها تقول :

ـ « يوم سعيد ، يا تيراى ماتياتا أنت ورجالك ، لقد عبرتم البحر على « باى ـ باى » وجئتم الى راروايا .. نعم يوم سعيد .. نحن نأمل أن تقيموا معنا لمدة طويلة

.. وتشاركوننا الأفكار حتى نصبح معا دائما ، وعندما ترحلون سوف نتذكركم . يوم سعيد .. !

طلبنا منهم أن يغنوا الأغنية مرة أخرى فأخذوا يرددونها عدة مرات ، ثم طلب مني « توبوهو » أن أتحدث الى الجمع .

اخذت اتحدث بالفرنسية و « تيكا » يترجم كلماتي :

« لقد جئت الى جزر البحر الجنوبى منذ عدة سنوات ، وسمعت عن أول رئيس لكم « تيكى » .. وأبلغنى رجل عجوز أن « تيكى » أحضر معه أجدادكم من بلد غامض غير معروف ، لم يكن يعرف اسم هذا البلد ، ولم يكن هناك أحد يعرف اسم البلد ، ولكنا نعرف أن رئيسا عظيما كان يحكم يوما بلدا اسمه بيرو ، كان اسمه « تيكى » ، وبعد مدة طويلة اختفى تيكى ورجاله من بيرو ، أبحروا على « باى بايات » كبيرة .. أين ذهبوا ؟ لا أحد يعرف ! وفكرنا فى أن تيكى أبحر من بيرو الى جزركم هذه ، ان الرجلين

ميين « تيكي » هما نفس الشخص ولكن لا أحد كان يصـــدقنا . قال الناس ان هــذا مستحيل . ان الباى ـ باى لا يمكنه أن يجتاز المحيط الهادى ، ولذلك فقد أبحرنا من بيرو وعبرنا المحيط على باى ـ باى . ان ذلك يمكن القيام به ! » .

بعد انتهاء خطبتي تقدم « توبوهو » الى الأمام وأخذ يتحدث الى الجمهور ، كان يتحدث بسرعة كبيرة ، ولم نفهم منه شـــيئا ، ولكن الجمهور كان يتجـاوب ببهجة كبيرة .

وترجم لنا « تيكا » ما قاله « توبوهو » : ان أجدادى كانوا يتكلمون عن تيكى ، ثم جاء رجال بيض وقالوا ان كل الحكايات عن تيكى كذب فى كذب ، والآن يأتى رجال بيض آخرون ويقولون ان أجـدادى كانوا على حق ، كانوا يتحدثون الصدق ، تيكى كان رجلا حقيقيا ، كان يعيش مثلنا ، ولكنه ميت الآن ، انه يعيش فى السماء » .

كانوا يظنون أن تيكى اله ، فشرحت سريعـــا للجمهور :

ـ نعم .. تيكى كان يعيش ، وهو الآن ميت ، ولكن ربما لا يكون الآن فى السماء . كان تيكى رئيسا عظيما ، ولكن ربما لا يكون الآن فى السماء .

كان الجميع سعداء ، كانوا يتصايحون « تيكى عاش » ، ثم تقدم ثلاثة شيوخ عجائز وصافحونا ، وبعد ذلك بدأ جميع الموجودين يتقدمون لمصافحتنا واحدا بعد الآخر .

وبعد ذلك بدأت الوليمة الكبيرة . أعدوا مائدة طويلة لنجلس عليها نحن والرئيسان ، وكانت فتيات القرية يحضرن ألوانا رائعة من الطعام وأخريات يقمن بترتيب المائدة ، وغيرهن يضعن أكاليل الزهور حول أعناقنا ، وتيجان أصغر من الزهور فوق رءوسنا وأكلنا دجاجا وبطا وخنازير مشوية ، كما أكلنا سمكا على الطريقة البولينيزية ، وأصنافا كثيرة أخرى من الطعام وكان الرجال يغنون والفتيات يرقصن حول المائدة وضحكنا كثيرا ومتعنا أنفسنا ، وكذلك فعل الرئيسان ..

وبعد الأكل أدى الشبان والفتيات رقصات بولينيزية تحت أشجار النخيل ، وأصبح الجميع أكثر مرحا وسعادة ٠

ثم غربت الشمس فوق المحيط الهادى وساد الظلام ، ولكن الليل كان أكثر ابهاجا فى هذه الجزيرة النائية فى البحر الجنوبى ، فقد تلألأت السماء بالنجوم الساطعة ، وكانت أشجار النخيل تتمايل برفق مع النسيم ، وكان الهواء معتدلا ورائحة الزهور زكية ٠٠

قال تيكا :

هذه أول وليمة نقيمها لرجال بيض ٠٠ انها وليمة طيبة !

صارت الموسيقى أكثر ارتفاعا ، والرقصات أكثر سرعة ، وتقدمت فتاة جميلة نحو هيرمان ومدت اليه يدها ٠

همست فى اذنه :

قم وارقص معها انك تستطيع أن ترقص جيدا !

قفز هيرمان وراح يرقص مع الفتــاة ، فابتهج الجميع وأخذوا يشجعونهما ، ثم قام بنجت وتورستين واشتركا فى الرقصة ، وقمت أنا أيضا ورقصت وأخذ « توبوهو » يضحك عاليا من أعماق قلبه حتى كاد يقع على الأرض ٠

استمر الاحتفال طوال الليل تقريبا ٠

ثم صافحنا جميع الحاضرين وعددهم ١٢٧ شخصا وذهبنا للنــوم ٠ نمنــا فى غرفة فى بيت الاجتماعات وكانوا قد نصبوا لنا ستة أسرة على طول حائط واحد ، علقنا زهورنا فوق الأسرة ، وأخذنا نتمتع برائحتهــا الزكية ولم نلبث أن رحنا فى النوم ٠



فى اليوم التالى اشتد المرض على الولد الذى يعانى من الخراج ، كان الخراج كبيرا فى حجم قبضة اليد وحرارة الولد شديدة الارتفاع ، شعرنا بالقلق ، ولم نجرؤ أن نعطيه مزيدا من البنسلين ٠ ولكن كان لابد أن نفعل شيئا فقام كنوت وتورستين بتركيب جهاز

اللاسلكى وأخبرا صديقينا ، هال وفرانك ، بالمشــكلة التى نواجهها ، وقام فرانك بالاتصال تليفونيا بطبيب فى لوس انجيلوس ، وأبلغ الطبيب عن الخراج الكبير والحرارة التى يعانيها الولد ، وطلب منه المشورة ، ثم أبلغنا لاسلكيا برسالة الطبيب .

طلبنا سكينا حادا وماء مغليا ، اخذت أم الولد تبكى وتصيح عندما رأت السكين ، وكذلك بكى وصاح كثيرون آخرون ، كل فرد كان يشعر بالتوتر والخطر ، وقمنا نحن بقص شعر رأس الولد ، ثم فتحنا الخراج بلطف ، فسال السم من الجرح ، وعندئذ طهرنا الجرح ، وبدأنا فى اعطاء الولد جرعات منتظمة من البنسلين ، فأخذت حرارته تهبط بالتدريج ، وشــفى الخراج ، وبعد أسبوع كان يلعب مع الأولاد الآخرين .

بعد ذلك ، بدأ جميع الناس تقريبا يقولون انهم مرضى ، كل فرد يريد أدوية ، وبالطبع فان معظمهم كانوا على خير ما يرام ، ولكننا أعطيناهم أشياء مختلفة وبالرغم من أنها ليست أدوية الا انها أسعدتهم !

بعد أيام قليلة ، أقيمت حفلة صغيرة أخرى ، بمناسبة منحنا شرف المواطنة فى جزيرة « راروويا » واعطائنا أسماء بولينيزية ، وكان هناك المزيد من الغناء والرقص .

ثم حدث أن تلقينا ذات مساء رسالة لاسلكية من صديقنا فى « راراتونجا » يقول فيها :

« ان الحكومة الفرنسية قد أرسلت السفينة « تامارا » لأخذكم الى تاهيتى » .

وهكذا انتهت زيارتنا لراروويا ، شعرنا بالحزن ، واقبل جميع سكان القرية الى الشاطىء لتوديعنا ، كان « توبوهو » يسير فى وسط الجمع ممسكا بيد الولد الصغير الذى شفى من الخراج ، وكان الاثنان يبكيان ، وكذلك كانت هناك دموع فى عيون الجميع ، فهم سوف يفقدون ستة أصدقاء ، ونحن سوف نفقد ١٢٧ صديقا .

وتذكرنا كلمات أغنيتهم « وعندما ترحلون سوف نتذكركم .. يوم سعيد ! » .

قطـرت « تامارا » الطـوف « كون ـ تيكى » خلفها، وأبحرنا من راروبا فوصلنا الى تاهيتى بعد أربعة أيام ، أخذنا نقترب من الجزيرة فى بطء ، وأصبح فى امكاننا رؤية جبالهـا الزرق وتلالها الخضر ، ثـم ظهرت أشجار النخيل فى الوديان ، وكان الشاطىء فى لون الذهب •

مررنا عبر فتحة في الصـخور ، ودخلنا ميناء « بابيت » •• كان في امكاننا رؤية صخور حمراء كثيرة بين الأشجار ، وبابيت هى عاصمة تاهيتى ، وهى مركز حكومات الجزيرة والحركة التجارية ، وهى أيضا مدينة للمتعـة •

كان أهالى تاهيتى ينتظرون على الشاطىء لرؤية كون ـ تيكى

وصاحوا عندما شاهدوه :

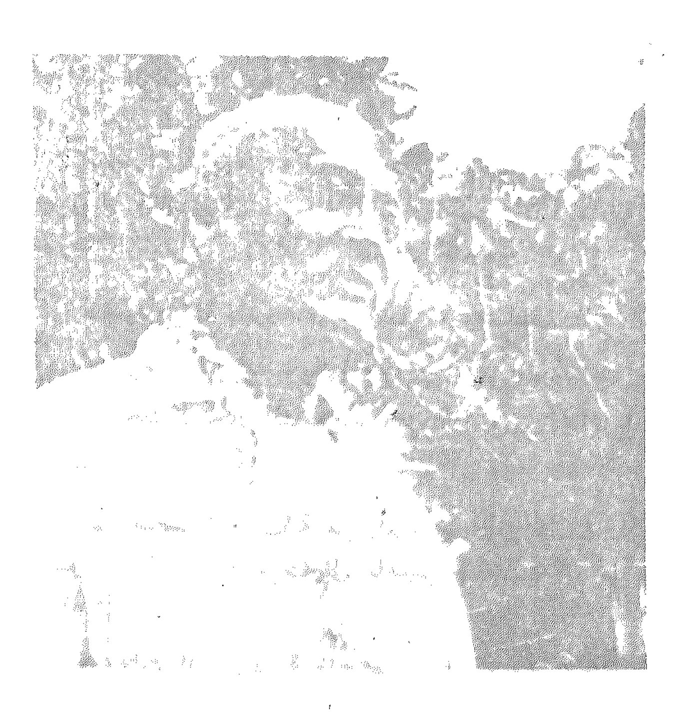
ـ « هـذا هـو الباى ـ باى الذى جاء من أمريكا » •

وتقدمت فتاة بولينيزية صغيرة وقدمت لنا اكليلا كبيرا من الزهور البرية ، وكذلك علقت فتيات أخريات زهورا حول أعناقنا ورحبوا بنا فى تاهيتى .. أجمل جزر البحار الجنوبية • كان الناس ودودين للغاية ، وجرى لنا استقبال فى القصر ، وأقيمت لنا مأدبة حضرها الرئيس ، ودعينا الي حفلات كثيرة

أمضينا وقتا سعيدا فى تاهيتى ، واستحممنا فى هور الجزيرة ، وتسلقنا جبالها ، ورقصنا على الحشائش الخضراء تحت أشجار النخيل ، ومرت الأيام وتلتها الأسابيع •

ثم وصلتنا رسالة من النرويج : ان السفينة « ثور ـ ١ » أبحرت الى تاهيتى لتاخذكم الى أمريكا •

ووصلت السفينة ذات صباح ، وتم رفع كون ـ تيكى فوق ظهرها ، وتزاحم حولنا أناس سمر وبيض وأعطونا زهورا •



رئيس تاهيتي الذي أطلق على ثور هايردال اسم ماتياتا ..

قال الرئيس :

« ألقوا الزهور فى الهور حتى تعودا يوما ما الى تاهيتى مرة أخرى ! » .

ودارت محركات السفينة ، وتحركت بنا من تاهيتى ، وسرعان ما اختفت الصخور الحمر وراء أشجار النخيل ، ثم اختفت الأشجار نفسها ، وتضاءلت الجزيرة .

كانت الأمواج تتكسر فى البحر الأزرق ولكن لم يكن فى امكاننا أن نلمسها بأيدينا ، فلم نعد الآن فوق الطوف ، اننا فى سفينة تنقلنا عائدين الى الحضارة .

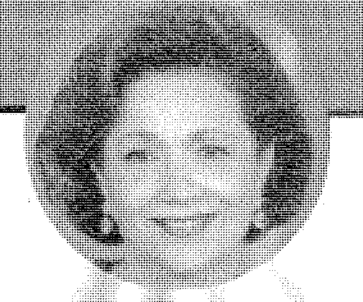
وهانحن الستة أحياء نشعر بالامتنان واقفين فوق سطح السفينة الكبيرة الى جانب تسعة جذوع كبيرة من أخشاب البلزا ، وثمة ستة أكاليل من الزهر الأبيض تتهادى فوق سطح المياه الرقراقة ! . .

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠١٣٢/١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6299 - x



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهي إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر في تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يحلو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة.. وإني لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

١٠٠ قرش